الكتاب الثانى

ضحى مصر الإسلامية

أو

العصر الفاطمى

المـدخل

(أ) ملاح مصر فى العصر الإسلامى.

(ب) من هم الفاطميون؟

(جـ) الحزب الشيعى، نشأته وتطوره.

(أ) ملامح مصر فى العصر الإسلامى الأول

هذا الموقع الجغرافى الاقتصادى الحربى المتاز عند ملتقى الطرق بين القارات الثلاث القديمة.

وهذا النهر الخالد مبارك الغدوات والروحات وما يجلبه للأرض الطيبة وساكنيها من رى وخصب.

وهذا الشعب الكاد الكادح الذى بنى الأهرام، وصنع التماثيل، وعرف التقويم الشمسى، ومارس الطب. وقاد الجيوش، وشق البحار، وأقام الإمبراطوريات.

وهذه الحضارة المزدهرة التى كانت مصدر إشعاع لكل البلاد المجاورة فى آسيا وأفريقيا قرونًا طويلة.

كل هذه العناصر جعلت لمصر فى كل عصورها التاريخية - سواء أكانت عصور استقلال أم تبعية - شخصية خاصة مستقلة متميزة.

وقد رحبت مصر بالفتح العربى لأنه أنجاها من ظلم الروم وعسفهم واضطهادهم الدينى، ولأنه حمل معه السماحة والعدل والمساواة والمثل الإنسانية العليا حين حمل إليها الإسلام، ولكن مصر بعد الفتح العربى لم يتغير مركزها السياسى الدولى، فقد كانت من قبل ولاية تابعة للإمبراطورية البيزنطية، ثم أصبحت إمارة تابعة للخلافة الإسلامية.

غير أن مصر لم تكن فى عهد التبعية للخلافة إمارة ككل الإمارات، بل برزت شخصيتها المستقلة المتميزة منذ اللحظة الأولى.

فلعبت دورًا هامًا فى الفتنة الكبرى التى انتهت بقتل عثمان بن عفان وتولية على بن أبى طالب ثم قيام الدولة الأموية.

وعندما انتقلت الخلافة الأموية إلى مروان بن الحكم أدرك ما لمصر من أهمية خاصة بين ولايات الدولة المختلفة، فاختار لولايتها ابنه عبد العزيز بن مروان الذى ظل واليًا عليها إحدى وعشرين سنة كان فى خلالها أشبه ما يكون بالحاكم المستقل، وكانت مصر أشبه ما تكون بالدولة المستقلة.

وعندما نشب النزاع بين الأمين والمأمون برزت مصر كالعادة إلى مسرح الحوادث وبدأت محاولتها للانفصال عن الخلافة والاستقلال، وكان بطل هذه المحاولة الاستقلالية الأولى السرى

ابن الحكم وعبد العزيز الجروى، غير أن هذه المحاولة انتهت بالفشل، لأنها لم تقم على أسس قومية واضحة، بل قامت بها شخصيات قوية طموحة.

ثم ثارت مصر فى عهد المأمون ثورة قومية خطيرة شارك فيها العرب والقبط، وكادت الأمور تنتهى فيها إلى فوضى شاملة وانفصال عن الخلافة، لولا أن تداركها المأمون فحضر إلى مصر وعمل بنفسه لإخضاع الثورة وإزالة الأسباب التى أدت إلى قيامها.

ولم تكن المقومات المكونة للشخصية المصرية لتسمح لمصر أن تظل ولاية تابعة أمدًا طويلاً، فلم تكد الخلافة العباسية تحس شيئًا من الضعف حتى بدأت مصر تجدد محاولاتها الاستقلالية، ونجحت هذه المحاولات على يد أحمد بن طولون أولاً ثم على يد محمد بن طغج الإخشيد ثانيًا، وكان الاستقلال فى عهد هاتين الدولتين يشوبه شىء من النقص تمثله تلك الخيوط الواهية التى كانت تربط مصر بالخلافة، كالخطبة باسم الخليفة، أو ضرب السكة باسمه، أو إرسال مبالغ من المال سنويًا إلى عاصمة الخلافة.

ثم توجت هذه المحاولات أخيرًا بظهور الخلافة الفاطمية وإتخاذها مصر مقرًا لحكمها، ففى عهد الدولة الفاطمية استقلت مصر لأول مرة فى العصر الإسلامى استقلالا تامًا كاملاً لا تشوبه أية شائبة، بل لقد أصبحت مركزًا لإمبراطورية واسعة قوية ذات حضارة مجيدة مزدهرة، تضم مصر والمغرب والشام وبلاد اليمن وجزيرة صقلية.

(ب) من هم الفاطميون؟

بعد موت الإمام جعفر الصادق انقسم الشيعة إلى فرق كثيرة كان أهمها وأكبرها فرقتين:

فرقة جعلت الإمامة فى ابنه موسى الكاظم ثم فى الأئمة من بنيه إلى الإمام الثانى عشر الحسن العسكرى، وهذه الفرقة تعرف بالأمامية «الإثنى عشرية» ومعظم أتباعها الآن فى إيران والعراق؛

والفرقة الثانية جعلت الإمامة فى إسماعيل بن جعفر الصادق، ثم فى ابنه محمد بن إسماعيل، ثم فى الأئمة من بنيه، ومنهم الخلفاء الفاطميون الذين أقاموا دولتهم فى أفريقية أو المغرب الأدنى أولاً فى سنة ٢٩٦ هـ، ثم نقلوا دولتهم إلى مصر فى سنة ٣٥٨ هـ، وظلوا يحكمونها إلى سنة ٥٦٧ هـ.

هذه الفرقة تعرف بالإسماعيلية - نسبة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق - وتعرف أحيانًا بالباطنية - نسبة إلى قولهم بالظاهر والباطن -.

أثار نجاح الفاطميين فى تكوين دولتهم عداء الخلافيتين السنيتين القائمتين وقتذاك: العباسية فى المشرق، والأموية الأندلسية فى المغرب، فشنتا عليهم حربًا شعواء، كان قوامها الطعن فى نسبهم ومذهبهم، واتهم الفاطميون بانتسابهم إلى أصل يهودى حينا وإلى أصل فارسى حينا آخر، وأصبح الكلام فى النسب الفاطمى[1] موضوعًا من أهم الموضوعات التى يتناولها المؤرخون - قدامى ومحدثون - شرقيون ومستشرقون - عند الكتابة عن تاريخ الفاطميين فى مصر، ومع هذا لم يصل واحد منهم حتى اليوم إلى رأى حاسم يمكن الاعتماد عليه والأخذ به، ويرجع هذا إلى سببين:

أولهما أننا لا نعرف على وجه التحديد متى بدأت الدعوة الإسماعيلية، أو من بدأ بها، فقد بدأت سرية، وما كتبه المؤرخون السنيون عن أصولها ومبدئها فيه تناقض كثير واضطراب، ويعتمد فى أكثره على الشائعات المغرضة.

وثانيهما أن الإسماعيلية أنفسهم لجأوا فى أول الأمر إلى التقية، فقد كان العهد عهد ستر، وخضع الشيعة لعوامل الاضطهاد المختلفة من سجن وقتل وتشريد، ولهذا لم يؤرخ الإسماعيلية لحركتهم بأنفسهم، لأن الستر أصل من أصول مذهبهم، ومن ضعف العقيدة عندهم كشف المستور، وكانت النتيجة أن كل ما نعرفه عن عهد الستر - وهو العهد الذى بدأ بوفاة جعفر الصدق وينتهى بقيام الدول الفاطمية - يسوده التناقض والاضطراب، ولا يمكن الركون إليه أو الوثوق به.

---

(١) انظر Bernard Lewis: The Origins of Ismailism والمقريزى: اتعاظ الحنفا، نشر الشيال، القاهرة، ١٩٤٨.

(جـ) الحزب الشيعى - نشأته وتطوره

المشهور المتواتر أن محمدًا عليه السلام - توفى ولم يوص لأحد بالخلافة من بعده، وترك الأمر شورى بين المسلمين، وعن طريق هذه الشورى اختير الخلفاء الأربعة الراشدون، وإن اختلفت أساليب الشورى عند اختيار كل واحد منهم.

وكان على بن أبى طالب يطمع فى أن يلى هذا المنصب منذ اللحظة الأولى التى تلت موت الرسول - عليه السلام - ولكن المنصب فاته فى الحالات الثلاث الأولى، ولما أدركه فى الحالة الرابعة أدركه فى ظروف عسيرة عصيبة، فقد تولى على الخلافة فى أعقاب الفتنة الكبرى التى انتهت بمقتل عثمان بن عفان.

وحدث الانقسام الأول الذى فتت الوحدة الإسلامية وجر الويلات الكبار على المسلمين والعالم الإسلامى منذ تلك اللحظة إلى اليوم، وتولى معاوية زعامة المعارضة، وكانت حجته الكبرى أنه إنما قام للمطالبة بثأر عثمان، والانتقام من قتلته ومن حماة هؤلاء القتلة، غير أنا نرى أن هذه حجة عاطفية اتخذها معاوية شعارًا ليثير شعور المسلمين على على، أما الصراع الحقيقى فهو صراع سياسى تمتد جذوره إلى الماضى البعيد، إلى عصر ما قبل الإسلام، عندما كان التنافس على أشده بين بنى أمية وبنى هاشم فى سبيل السيادة، فلما ظهر محمد برسالته كان بنو أمية من أشد الناس عداوة له، وكان أبو سفيان زعيم بنى أمية - حامل لواء المعارضة والمقاومة.

ونصر الله عبده محمدًا، وانتقلت السيادة إلى بنى هاشم، فمنهم اختار الله نبيه، وقد استجاب العرب جميعا لرسالته، وخضعوا لنفوذه بعد أن كون دولته الجديدة التى وحدت المؤمنين والمسلمين من العرب جميعًا ليكونوا أمة واحدة من دون الناس.

آلم بنى أمية أن ينال بنو هاشم هذا الشرف كله، ولكنهم خضعوا على مضض، وخاصة بعد دخولهم فى الإسلام، غير أن بذور هذا النزاع لم تمت، بل ظلت كامنة فى النفوس إلى أن ولى عثمان - وهو من كبار بنى أمية - الخلافة، فاستيقظت عوامل الخلاف من جديد، والتف رجال هذه الأسرة حوله يلونون سياسته باللون الذى يريدون، فلما ثارت الفتنة وقتل عثمان، وولى على الخلافة، خشوا أن تستقر السيادة ثانية فى بيت بنى هاشم، فحمل لواء المعارضة معاوية - كبير بنى أمية فى ذلك الوقت - وقاد معركة النضال فى عنف وإصرار شديدين مستعملاً كل ما أوتى من مكر ودهاء.

فلم يكن الصراع بين على ومعاوية إذن صراعًا للأخذ بثأر عثمان أو للانتقام من قلته، وإنما كان حلقة جديدة فى سلسلة النزاع القديم فى سبيل السيادة بين بيتين كبيرين من قريش، هما بنو أمية وبنو هاشم، ولقد كان تقى الدين أحمد بن على المقريزى - زعيم مؤرخى مصر الإسلامية - أول من فطن إلى هذه الحقيقة، وأول من عالجها معالجة طيبة فى كتابه الصغير القيم: «النزاع والتخاصم فيما بين بنى أمية وبنى هاشم».

إبان هذا الصراع ظهر الحزب الشيعى، وهو الحزب الذى يضم من ينتصرون لعلى أو يتشيعون له، وقد انضم إلى هذا الحزب كل الشانئين والمتذمرين من العرب وغيرهم ومن الموالى بوجه خاص، وصنع رجال هذا الحزب لأنفسهم مبدأ خاصًا، وفلسفوا هذا المبدأ فلسفة تأثروا فيها إلى حد بعيد بنظريات الحكم عند الفرس التى كانت تؤمن بحق الملك المقدس، وحجر الزاوية فى هذا المبدأ عقيدتهم فى الإمامة، وبنو هذه العقيدة على حديث نبوى، فقالوا إن الرسول - عليه السلام - مر عند أوبته من حجة الوداع بغدير خم - وهو مكان بين مكة والمدينة - وعند هذا الغدير آخى بينه وبين ابن عمه على وقال: «على مولاى، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه».

وقالوا استنتاجًا من هذا أن هذا الحديث يتضمن مبايعة ضمنية من محمد لعلى، وأن عليًا وصى الرسول، أوصى له بالإمامة من بعده لشروط خاصة ينفرد بها، ولعلوم لدنية تلقاها عنه، وأن الإمامة يجب أن تنتقل من على إلى أولاده الواحد بعد الآخر، لأن هذه الشروط والعلوم تنتقل فى نسل على بطريق الوراثة من الابن إلى الابن.

ولهذا وقف أتباع هذا الحزب فيما بعد إلى جانب أولاد على يحرضونهم على المطالبة بحقهم فى الخلافة، فرشحوا أولاً الحسن بن على ليلى أمر المسلمين بعد مقتل أبيه، ولكن الحسن كان رجلاً بعيد النظر، فرأى أن أهل الشام ومصر والحجاز واليمن قلوبهم مع معاوية، ورأى أن أهل العراق الذين تقاعسوا عن نصرة أبيه لا يمكن - مع تحمسهم لعلى وأولاده - أن يتقدموا لنصرته ضد معاوية، فآثر أن يسالم معاوية، وقنع منه بمعاهدة عقدها معه فيها شروط خاصة له ولأتباعه، واستقر بعد ذلك فى مدينة الرسول حيث قضى بقية حياته إلى أن توفى سنة ٥٠ هـ.

ولبث معاوية - وهو خليفة - يستميل الناس ويصطنعهم لنفسه ولأسرته بالسياسة واللين تارة، وبالكرم والعطاء تارة أخرى، حتى استطاع أن يخمد دعوة الشيعة ويسكتها مؤقتًا، وحتى استطاع أن يرسى أسس الحكم والسيادة لبنى أمية على قواعد متينة بأن أخذ البيعة لابنه يزيد قبل موته، وبهذا استن للخلافة نظامًا جديدًا، وقلبها من نظام شورى - هو أقرب شىء إلى النظام الجمهورى - إلى ملك وراثى.

ولم تكن هذه التجربة لتمر فى يسر وسهولة، فلم يكد يزيد يلى الخلافة حتى تجددت الفتنة، وثار أهم المدن الإسلامية، وخاصة مكة والكوفة.

ففى مكة ثار عبد الله بن الزبير، ولثورته قصة أخرى ليس هنا مجال الحديث عنها. وفى الكوفة ثار الشيعة وأرسلوا للحسين بن على يطلبون قدومه إليهم، ويحرضونه على المطالبة بالخلافة، فهو أحق بها من يزيد بن معاوية. وأحسن الحسين الظن بأهل الكوفة، وسارع إليهم، غير أنهم تخلفوا عن نصرته، وتقدم عبيد الله بن زياد - عامل يزيد على العراق - لمقاتلته، ولم يستطع الحسين أن يقف أمامه بجيشه القليل (نحو ٨٠ رجلاً)، فهزم هزيمة نكراء، وقتل كل رجاله، وحمل رأسه بعد ذلك إلى يزيد.

كان لموقعة كربلاء أثر جد خطير فى تطور الحوادث بعد ذلك، فقد أصبح الحسين أبا للشهداء، وأصبحت كربلاء رمزا للاستشهاد، وهب الشيعة فى كل مكان يطالبون بثأر الحسين، ولهذا نرى أن النزاع بين الأمويين والعلويين قد اشتد واحتدم بعد مقتل الحسين. وظل الشيعة طول العصر الأموى يطالبون بأحقية أولاد على فى الخلافة. غير أنهم انقسموا فرقا، فمنهم من دعا لأولاد الحسن، ومنهم من دعا لأولاد الحسين،ومنهم من دعا لمحمد بن الحنفية وابنه أبى هاشم.

واعتبرت الدولة الأموية هذه الحركات جميعا حركات ثورية، وعاملتها بما تعامل به الدولة القوية كل ثائر أو خارج على طاعتها. وظهر فى الوقت نفسه فرع آخر من البيت الهاشمى وهو فرع بنى العباس يطلب الخلافة لنفسه.

واستغل العباسيون ضعف الشيعة العلوية وانقسامهم ومكروا بهم، فجعلوا الدعوة عامة شاملة «للرضا من آل محمد»، يريدون بذلك أن يضمنوا ولاء الشيعة العلوية من ناحية، وأن يخفوا اسم صاحب دعوتهم حتى لا يتتبعه الأمويون باضطهادهم وعذابهم من ناحية أخرى.

ونجح العباسيون فى القضاء على دولة بنى أمية وفى الوصول إلى عرش الخلافة، ولم ينس العلويون دعوتهم، بل اعتبروا أبناء عمومتهم مغتصبين لحقهم، وقام فى العصر العباسى أفراد كثيرون معظمهم من الفرع الحسينى يطلبون الخلافة، وعنف بهم العباسيون أضعاف ما كان يعنف بهم الأمويون، فاضطهدوهم وطاردوهم وقاتلوهم فى كل مكان خرجوا فيه، ولهذا تحولت الدعوة من العلن إلى السر، تقية وصيانة لأشخاص الأئمة أصحاب الدعوة.

الباب الأول

الدولة الفاطمية فى المغرب

١ - قيام الدولة الفاطمية فى المغرب .

٢ - الفاطميون فى المغرب .

٣ - الفتح الفاطمى لمصر .

(١)
قيام الدولة الفاطمية فى المغرب

كان الإسماعيلية - وهم الذين ينتسبون إلى إسماعيل بن جعفر الصادق - أنشط من غيرهم ، فقد بثوا الدعاة فى أنحاء الدولة الإسلامية المختلفة، وفى الأنحاء القاصية بوجه خاص، مثل اليمن وبلاد المغرب .

ففى النصف الثانى من القرن الثالث للهجرة كان فى بلاد المغرب داعيان هما: الحلوانى وأبو سفيان ، وفى اليمن داعيان آخران هما: ابن حوشب أبو عبد الله الشيعى، وأهم هؤلاء جميعًا أبو عبد الله الشيعى فإنه المؤسس الحقيقى للدولة الفاطمية الإسماعيلية فى المغرب ، كما كان أبو مسلم الخراسانى المؤسس الحقيقى للدولة العباسية فى المشرق ، ومن العجيب أن خاتمة الرجلين كانت واحدة ، فقد قتل أبو جعفر المنصور أبا مسلم، كما قتل عبيد الله المهدى أبا عبد الله الشيعى .

كان أبو عبد الله الشيعى يمنى الأصل من مدينة صنعاء ، وقد ولى الحسبة وقتًا ما فى بغداد، ثم ترك منصبه وسار إلى اليمن داعية من الدعاة حيث اتصل هناك بابن حوشب ، وأصبح من كبار أخصائه وأصدقائه ، فلما علم ابن حوشب بموت الحلوانى وأبى سفيان الداعيتين بالمغرب أوفد أبا عبد الله إليها وقال له : (إن أرض كتامه من بلاد المغرب قد حرثها الحلوانى وأبو سفيان وقد ماتا، وليس لك غيرها، فبادر فإنها موطأة ممهدة لك) .

وخرج أبو عبد الله من اليمن إلى مكة ، وفى موسم الحج تعرف على الحاج من قبيلة كتامة، وتقرب إليهم ، وتظاهر بالزهد والتقشف ، فأعجبوا به ووثقوا فيه، وصحبهم فى عودتهم إلى بلادهم ونزل بينهم، وتسامعت به قبائل البربر، ووفدت عليه من كل مكان ، فعظم أمره وكثر أنصاره، وعند ذلك كشف عن شخصيته وأعلن عن أغراضه .

وبعد ثلاث سنوات من وصوله إلى بلاد المغرب - أى فى سنة ٢٩١هـ (٩٠٣م) - بدأ جهوده الحربية، فخضعت له مدن كثيرة ، وساعده على هذا النجاح ما كان قد أصاب الدولة الأغلبية - صاحبة الحكم فى تونس حينذاك - من ضعف وانحلال .

عند ذلك أرسل أبو عبد الله المهدى - الإمام الإسماعيلى صاحب الدعوة - وكان يقيم فى مدينة سلمية بالشام - يستدعيه للحضور إلى بلاد المغرب ، فأسرع بتلبية الدعوة وخرج من الشام ومعه أموال وفيرة، ويقال إن الخليفة العباسى علم بخروجه ، فأرسل إلى عماله فى مصر وأفريقية يوصيهم بالقبض عليه. ولكن عبيد الله استطاع بالتستر تارة، وببذل المال تارة أخرى،

أن يفر من مراقبة الولاة . وانتهت به الرحلة إلى مدينة سجلماسة فى المغرب الأقصى حيث قبض عليه واليها وسجنه بها.

وفى سنة ٢٩٦هـ تم لأبى عبد الله النصر النهائى على الولايات القائمة فى شمال أفريقيا : دولة بنى مدرار فى سجلماسة، ودولة بنى رستم فى تاهرت، ودولة الأغالبة فى أفريقية (تونس) ، وأطلق سراح عبيد الله ، فقاد الجيش بنفسه، وسار حتى دخل مدينة رقادة فى سنة ٢٩٧هـ، ونزل بقصر من قصورها. وفى يوم الجمعة خطب باسمه على منابر رقادة والقيروان - بعد أن قضى نهائيًا على ملك الأغالبة - ولقب بأمير المؤمنين عبيد الله المهدى.

وهكذا نجح الشيعة الإسماعيلية فى الوصول إلى عرش الخلافة بعد جهاد طويل مرير، كان بعضه فى العلن إلى عهد محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ، وبعضه فى السر ويمتد من محمد بن إسماعيل إلى نجاح الدولة وظهور عبيد الله. ويعرف هذا العهد الثانى بعهد الكتمان، فقد كتمت فيه أسماء الأئمة تقية وخوفًا ، وكان يقوم بالدعوة العلنية ويشرف علي توجيهها الأئمة المستودعون من نسل عبد الله بن ميمون القداح ، ومن هنا ثار الجدال حول صحة النسب الفاطمى، فقد أصبح كتمان أسماء الأئمة المستقرين من محمد بن إسماعيل إلى عبيد الله المهدى جزءًا من المذهب ، ولم يكن الخلفاء الفاطميون يسيغون إعلان هذه الأسماء حتى يعد نجاح الدعوة وتوليهم الخلافة .

ومن هذه الثغرة دخل أعداء الدولة الفاطمية من العباسيين فى المشرق، والأمويين فى الأندلس للطعن فى نسب الأئمة الفاطميين ، يريدون بذلك أن يقوضوا الدعائم التى قامت عليها الدولة .

وإلى هذا الشك - الذى ثار حول نسب عبيد الله المهدى منذ اللحظة الأولى - يرجع بعض المؤرخين السبب فى النزاع الذى قام بين عبيد الله وقائده أبى عبد الله، والذى انتهى بقتل هذا الأخير بعد قيام الدولة بنحو عام.

الخلفاء الفاطميون

(١)

فى المغــرب

١ - ٤ ربيع الآخر ٢٩٧هـ (٩٠٩م) المهدى أبو محمد عبد الله
ت ١٤ ربيع الأول ٣٢٢هـ

٢ - ١٤ ربيع الأول ٣٢٢هـ (٩٣٤م) القائم بأمر الله أبو القاسم نزار
ت ١٣ شوال ٣٣٤هـ

٣ - ١٣ شوال ٣٣٤هـ (٩٤٥م) المنصور بنصر الله أبو الطاهر إسماعيل
ت ٢٩ شوال ٣٤١هـ

٤ - أول ذى القعدة ٣٤١هـ (٩٥٢م) المعز لدين الله أبو تميم معد
ت ٣ ربيع الآخر ٣٦٥هـ

(٢)

فى مصر

(وفى شعبان ٣٥٨هـ فتحت مصر ، وفى رمضان ٣٦٢هـ دخل المعز القاهرة)

٥ - ٥ ربيع آخر ٣٦٥ (٩٧٥م) العزيز بالله أبو منصور نزار
ت ٢٨ رمضان ٣٨٦هـ

٦ - ٢٩ رمضان ٣٨٦هـ (٩٩٦م) الحاكم بأمر الله أبو على منصور
اختفى فى ٢٧ شوال ٤١١هـ

٧ - ١٠ ذو الحجة ٤١١هـ (١٠٢٠م) الظاهر لإعزاز دين الله أبو الحسن على
ت ١٥ شعبان ٤٢٧هـ

٨ - ١٥ شعبان ٤٢٧هـ (١٠٣٥م) المنتصر بالله أبو تميم معد
ت ١٨ ذو الحجة ٤٨٧هـ

٩ ذو الحجة ٤٨٧هـ (١٠٩٤م) المستعلى بالله أبو القاسم أحمد
ت ١٤ صفر ٤٩٥هـ

١٠ - ١٤ صفر ٤٩٥هـ (١١٠٠م) الآمر بأحكام الله أبو على منصور

قتل ٢ ذو القعدة ٥٢٤هـ

١١ - ١٥ المحرم ٥٢٥هـ (١١٣٠م) الحافظ لدين الله أبو ميمون عبد المجيد

ت ٥ جمادى الآخرة ٥٤٤هـ

١٢ - ٦ جمادى الآخرة ٥٤٤هـ (١١٤٩م) الظافر بأمر الله أبو منصور إسماعيل

قتل ٣٠ المحرم ٥٤٩هـ

١٣ - أول صفر ٥٤٩هـ (١١٥٤م) الفائز بنصر الله أبو القاسم عيسى

ت ١٧ رجب ٥٥٥هـ

١٤ - رجب ٥٥٥هـ (١١٦٠م) العاضد لدين الله أبو محمد عبد الله

خلع ٣ المحرم ومات ١٠ المحرم ٥٦٧هـ

(٢)

الفاطميون فى المغرب

قضت الدولة الفاطمية فى المغرب - منذ قيامها إلى أن انتقلت إلى مصر - نيفا ونصف قرن، وتولى الحكم فى هذه المدة أربعة من خلفائها، هم : المهدى أبو محمد عبيد الله / والقائم بأمر الله أبو القاسم نزار ، والمنصور بنصر الله أبو الطاهر إسماعيل، والمعز لدين الله أبو تميم معد .

وقد بذل هؤلاء الخلفاء جهودًا كثيرة للتمكين للدولة وتقويتها ، فقضوا على كل القوى المعارضة .

وبعد أن ذلل المهدى للصعوبات الأولى التى اعترضت طريقه، وبعد أن هدأت الفتن فى ملكه، ودان له الجميع بالولاء، بدأ يفكر فى بناء عاصمة جديدة لدولته ، لأنه لم يكن لأهل القيروان - عاصمة الأغالبة -، فخرج يرتاد موضعًا قريبًا على ساحل البحر، فلم يجد أحسن ولا أحصن من موضع المهدية (وهى جزيرة متصلة بالبر كهيئة كف متصل بزند) ، فبنى هناك فى ذى الحجة سنة ٣٠٣هـ عاصمته الجديدة، وبنى حولها سورًا شاهقًا من الحجر الأبيض لحمايتها والدفاع عنها، وجعل للسور أبراجًا وأبوابًا عظيمة .

وكان عبيد الله يدرك أن دولته الجديدة لا تزال نحيط بها الأخطار من الداخل والخارج، فاتخذ فى مدينته الجديدة كل وسائل الدفاع التى يقتضيها عصره، فأمر أن تنقر دار صناعة فى الجبل تسع مائتى شينى (نوع من السفن الحربية) وعليها باب مغلق ، وأنشأ فى باطن أرضها أهراء للطعام، ومصانع للماء، ولما انتهى من إنشاء هذه التحصينات بنى فيها الدور والقصور .

وقد بنى ابنه القائم بعد ذلك فى سنة ٣٣١هـ مدينة ثالثة أسماها المحمدية، كما بنى المنصور فى سنة ٣٣٨هـ مدينة ثالثة أسماها المنصورية أو المنصورة، وهما مدينتان داخليتان، غير أنه لم يكن لهاتين المدينتين من الشأن أو الأثر فى سياسة الدولة وحياتها قدر ما كان للمهدية ، فقد كانت المهدية مركزًا حصينًا يعتمد على البحر إذا نشبت ثورة فى الداخل، كما كانت مركزًا مناسبًا لإرسال الحملات الحربية المتتابعة لإخضاع الثورات التى قامت فى صقلية، أو لمهاجمة شواطىء إيطاليا ومدنها الساحلية والجزر المحيطة بها، مثل جزيرتى كورسيكا وسردينيا .

لم يصف الملك لدولة الفاطميين بعد قيامها ، بل اعترضتها صعوبات كثيرة كان أشدها وأخطرها ثورة البربر - السكان الأصليين - بزعامة أبى زيد الخارجى ، وذلك أن الدولة اعتمدت عند قيامها على قبيلتين كبيرتين من قبائل شمال أفريقيا، وهما قبيلة كتامة وقبيلة

صنهاجة، أما عامة البربر - وهم قوم فى طبيعتهم حب للثورة والخروج ، ويميلون للحرب والقتال فلم يدينوا للفواطم بالولاء، بل لعله آذاهم أن تنجح هذه الدولة العربية الوافدة من المشرق فى تكوين ملك لها جديد فى بلادهم ، ولذلك لم يكد يعلن أبو يزيد الخارجى العصيان على الدولة حتى التفت حوله معظم قبائل البربر، وناصروه مدة طويلة ، إلى أن تمكن خلفاء الفاطميين من القضاء على هذه الفتنة.

وثورة أبى يزيد فى الواقع ثورة قومية مذهبية ، فهى ثورة قومية لأن البربر وهم السكان الأصليون لشمال أفريقيا - إنما قاموا للقضاء على هذا الغزو الخارجى ولاسترداده استقلالهم، وهى ثورة مذهبية لأن زعيمها أبا يزيد كان من الخوارج النكارية، فهو لا يؤمن بمبادئ الشيعة التى قامت على أسسها الدولة الفاطمية .

وقد بدأ أبو يزيد يستكثر من الأنصار فى خلافة المهدى ، غير أنه لم يشتد بأسه إلا فى عهدى القائم والمنصور ، فقد بدأ ثورته على الدولة فى سنة ٣٣٢هـ وظلت فتنته قائمة حى سنة ٣٣٦هـ، وكانت فتنة خطيرة كادت تقضى على الدولة فى مهدها ، وبذل الخليفتان القائم والمنصور جهودًا جبارة فى مقاتلة أبى يزيد وأتباعه وجيشه إلى أن تمكن القائم أخيرًا من القضاء على هذه الفتنة وقتل زعيمها، وبذلك استقرت الدولة على أسس قوية متينة، وبدأت توجه جهودها نحو توسيع ملكها غربا وشرقا .

قام الخلفاء الفاطميون الثلاثة الأول بمحاولات لتوسيع ملكهم غربًا، غير أن هذه المحاولات لم يكن لها من الشأن والخطورة ما كان لمحاولة الخليفة الرابع المعز لدين الله ، وذلك أن تنظيم الدولة الجديدة وثورة أبى يزيد استنفدتا جهود هؤلاء الخلفاء الثلاثة وشغلناهم عن التفكير الجدى فى توسيع ملكهم وإخضاع بقية شمال أفريقيا، فلما ولى المعز عرش الخلافة، استمال إليه - بالسياسة والإحسان - بقية الثائرين من قبائل البربر. وفى سنة ٣٤٧هـ أعد جيشًا عظيمًا، فجعل قيادته لرجلين : وزيره جوهر الصقلى ، وزيرى بن مناد الصنهاجى، وأمرها بالمسير إلى المغرب الأقصى وفتحه .

وسار الجيش إلى أن وصل إلى مدينة فاس ، فاستعصت عليه قليلاً ، فتركها إلى سجلماسة، وكان يحكمها محمد بن واسول، وكان قد لقب نفسه بالشاكر لله، وخوطب بأمير المؤمنين ، وضرب السكة باسمه مدة ستة عشر عامًا، فلما سمع بمقدم جوهر فر من المدينة، ثم أسر وحمل إلى جوهر بعد أن استولى على المدينة .

وترك جوهر سجلماسة وتقدم حتى وصل إلى المحيط الأطلسى (فأمر أن يصطاد له من سمكه، فاصطادوا له، فجعله فى قلال الماء، وحمله إلى المعز) . وقصد جوهر فى عودته إلى فاس، وظل محاصرًا لها إلى أن استولى عليها، وبذلك امتد ملك المعز من تونس إلى المحيط الأطلسى ، ويقول ابن تعزى بردى فى ترجمته للمعز : (ووطأ له جوهر من أفريقية إلى البحر سوى مدينة سبتة، فإنها بقيت لبنى أمية أصحاب الأندلس) .

(٣)

الفتح الفاطمى لمصر

كان الغرض الأساسى الذى سعى العلويون دائمًا لتحقيقه هو تكوين خلافة جديدة تقضى على الخلافة العباسية السنية وترثها فى ملك العالم الإسلامى ، وقد رأينا كيف نجح الفاطميون فى تحقيق الشطر الأول من غرضهم ، فأقاموا دولتهم فى المغرب ، ولكنهم لم ينسوا بعد نجاحهم الشطر الثانى والأهم وهو القضاء على الدولة العباسية ، ومصر هى أول جزء من أملاك العباسيين يجاور الدولة الفاطمية من ناحية الشرق .

لهذا كانت مصر حلم الفاطميين منذ اللحظة الأولى ، ولهذا لم تكد الأمور تستقر نوعًا ما للمهدى - الخليفة الأول - حتى أعد العدة للاتجاه شرقًا وغزو مصر، فأرسل فى سنة ٣٠١هـ جيشًا لتحقيق هذا الغرض، ثم أرسل فى سنة ٣٠٧هـ حملة أخرى، ولكنهما منيتا بالفشل . وقد حذا حذوه ابنه القائم ، فأرسل فى سنة ٣٢١هـ حملة ثالثة ، ولكنها لم تكن أسعد حظًا من سابقتيها، ولم يكتب النجاح إلا للغزوة الرابعة التى تمت فى عهد المعز لدين الله .

وقد ساعد على نجاح هذه الغزوة الرابعة أمور كثيرة ، أهمها ضعف الخلافة العباسية صاحبة السيادة على مصر، وضعف الدولة الإخشيدية صاحبة السلطان الفعلى فيها .

أما الخلافة العباسية فقد بدأت عوامل الضعف تتسلل إلى كيانها فى العصر العباسى الثانى، فاستبد الأتراك بشئون الحكم الفعلية حتى غدا الخلفاء كالدمى فى أيديهم يحركونهم كيف شاءوا، وانطبق عليهم عند ذاك قول الشاعر :

خليفة فى قفص بين وصيف وبغا

يقول ما قالا له كما تقول الببغا

وأدى هذا الضعف إلى اجتراء كل طموح أو محب للشغب أو راغب فى السلطة إلى الثورة، فقامت ثورة الزنج فى إقليم البصرة والجزء الجنوبى الغربى من فارس، وظلت مشتعلة خمس عشرة سنة (٢٥٥هـ - ٢٧٠هـ)، ثم تلتها ثورة القرامطة الذين تقدموا حتى ملكوا بادية الشام وجنوبه، وهددوا حدود مصر الشرقية، وعاثوا فى الجزيرة العربية فسادًا، واستلبوا الحجر الأسود حيث بقى معهم مدة اثنين وعشرين عامًا، ولم يردوه إلا بعد أن دفع لهم الخليفة العباسى مبلغًا كبيرًا من المال، وصاحب هذه الثورات انفصال الأطراف وقيام دول مستقلة فيها.

ففى الشرق قامت الدول الصفارية والسامانية والطاهرية. وفى الغرب قامت الدولتان الطولونية والإخشيدية.

وفى قلب الدولة نفسها، فى العراق، قامت دول ملكت زمام الحكم فى أيديها، ففى الشمال قامت الدولة الحمدانية فى نواحى الموصل وحلب، وطالما حاولوا دخول بغداد نفسها، وفى العاصمة بغداد قامت الدولة البويهية فى سنة ٤٤٣هـ، واستبدت بأمور الخلافة جميعا، فأصبحت للبويهيين الكلمة الأولى والعليا فى تولية الخلفاء وعزلهم بل وقتلهم. وصدق بذلك قول البيرونى فيهم: «إن الدولة والملك قد انتقلا من آل العباس إلى آل بويه، والذى بقى فى أيدى الدولة العباسية إنما هو أمر دينى اعتقادى، لا ملكى دنيوى» [١].

وفى مصر انتهت الأمور بعد موت محمد بن طغج الإخشيد فى سنة ٣٣٤هـ إلى الضعف، إذ لم يخلفه أحد من نسله له مقدرته وشجاعته، حقيقة لقد استبد كافور بالحكم دون ولدى الإخشيد، فاستطاع أن يخمد الثورات التى نشبت، وأن ينتصر على الحمدانيين، ولكن هذه الوثبة كانت أشبه شىء بصحوة الموت، فقد ساءت أحوال البلاد الاقتصادية، ففى سنة ٣٥٢هـ قصر النيل فى فيضانه، وحدث بمصر غلاء شديد نتجت عنه مجاعة ظلت نحو تسع سنوات، قاسى المصريون فى خلالها الشدائد، فحدث فى سنة ٣٥٣هـ مثلاً أن «عظم الغلاء، وانتقضت الأعمال لكثرة الفتن، ونهبت الضياع والغلات، وماج الناس فى مصر بسبب السعر، فدخلوا الجامع العتيق بالفسطاط فى يوم جمعة، وازدحموا عند المحراب، فمات رجل وامرأة فى الزحام، ولم تصل الجمعة يومئذ..».

وفى سنة ست وخمسين «لم يبلغ النيل سوى اثنى عشر ذراعا وأصابع، ولم يقع مثل ذلك فى المملكة الإسلامية، وكان على إمارة مصر حينئذ الأستاذ كافور الإخشيدى، فعظم الأمر من شدة الغلاء».

وفى سنة ٣٥٧هـ مات كافور، فانهارت المقاومة، «وكثر الاضطراب، وتعددت الفتن، وكانت حروب كثيرة بين الجند والأمراء قتل فيها خلق كثير، وانتهبت أسواق البلد، وأحرقت مواضع عديدة، فاشتد خوف الناس، وضاعت أموالهم وتغيرت نياتهم، وارتفع السعر، وتعذر وجود الأقوات حتى بيع القمح كل ويبة بدينار، واختلف العسكر، فلحق الكثير منهم بالحسن بن عبد الله بن طغج - وهو يومئذ بالرملة - وكاتب الكثير منهم المعز لدين الله الفاطمى، وعظم الإرجاف بمسير القرامطة إلى مصر» ، وتواترت الأخبار بمجىء عساكر المعز من المغرب، إلى أن دخلت سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة ودخل القائد جوهر بعساكر الإمام المعز لدين الله..» [٢].

---

(١) البيرونى: الآثار الباقية، ص ١٣٢.

(٢) المقريزى: إغاثة الأمة بكشف الغمة، نشر زيادة والشيال، ص ١٢ - ١٣

هذه صورة رائعة للحالة فى مصر قبيل الغزو الفاطمى، رسمها بقلمه المبدع تقى الدين المقريزى زعيم مؤرخى مصر الإسلامية، ويستطيع أى فنان أن يحيلها بريشته وألوانه إلى لوحة ناطقة نرى فيها عوامل الضعف وأسباب الانهيار وقد تشابكت وأخذ بعضها بخناق بعض، فالنيل قد قصر فى فيضانه سنة بعد أخرى، والأسعار قد ارتفعت، والأقوات قد شحت، والمجاعة قد عمت، والوباء قد انتشر، والجيش قد انقسم إلى فرق وشيع، فلحق نفر منهم بحاكم فلسطين الإخشيدى، وكاتب نفر آخر المعز لدين الله فى المغرب، والأعداء الطامعون يحيقون بمصر من شرق ومن غرب ويطرقون أبوابها، فمن الشرق القرامطة، ومن الغرب الفاطميون، والشعب وسط هذا كله تائه ضائع قد تملكه الخوف واستولى عليه الفزع، يثور مرة فلا يملك إلا أن يلجأ إلى المسجد الجامع فى عاصمة الفسطاط، ثم يدور ببصره فى كل الأنحاء يبحث عن منقذ ولكن البصر يرتد إليه خاسئًا وهو حسير، فيلتمس المنقذ من الخارج، ويرجف بقرب مقدم القرامطة، ويتحدث عن مجىء المعز لدين الله.

وكانت عين المعز فى ذلك الوقت على مصر ترقب مصائر الأمور فيها، وكان دعاته منبثين فى ربوعها ينشرون الدعوة له ويمهدون السبيل لمجيئه، وكان هو يعد العد للغزو، فجمع كل ما استطاع جمعه من مال حتى ليقال إنه صرف على إعداد الجيش أربعة وعشرين مليونا من الدنانير عدا ما حمله ألف جمل من صناديق الذهب للصرف منها على الحملة، وحشد الجيش كل من استطاع حشده من جنده، حتى ليقال إنه كان يزيد على مائة ألف جندى، وحتى وصفه أحد المصريين عند رؤيته بأنه «مثل جمع عرفات كثرة وعدة».

واختار المعز لقيادة هذا الجيش قائده القدير «جوهر الصقلى» الذى مهد له ملك شمال أفريقيا كله، فقد كان يتفاءل به ويؤمن بمقدرته الحربية حتى لقد قال مرة لزعماء المغرب: «والله لو خرج جوهر هذا وحده لفتح مصر».

وخرج جوهر بجيشه فى اليوم الرابع عشر من شهر ربيع الثانى سنة ٣٥٨هـ، وسار فى نفس الطريق الذى سلكه فيما بعد روميل، ولكنه كان يعلم مبلغ ما يعانيه الجيش من صعاب وعقبات عند عبوره هذه الصحراء الممتدة الجدباء، ولهذا فقد عبر الطرق وحفر الآبار، وبنى المنازل للاستراحة على طول الطريق من تونس إلى مصر.

ووصل جوهر الإسكندرية ودخلها دون قتال، فلما وصلت الأخبار بمقدمه إلى الفسطاط، اضطرب أهلها وتملكهم الذعر، واتفقوا مع الوزير جعفر بن الفرات أن يرسل فى طلب الصلح والأمان، فكون الوزير وفدا من أعيان البلد، وجعل على رأسه الشريف أبا جعفر مسلم بن عبد الله، وسار الوفد حتى قابل جوهر - وكان فى طريقه من الإسكندرية إلى الفسطاط - فقبل دعوتهم وكتب لهم أمانًا، وعدهم فيه بما يأتى:

١ - إعزاز المصريين وحمايتهم والجهاد عنهم.

٢ - نشر الأمن، وتأمين طريق الحج الذى تعطل بسبب غارات القرامطة.

٣ - معالجة الحالة الاقتصادية، وتجديد السكة، وتنظيم أمور المواريث.

٤ - ترميم المساجد وتزينها بالفرش والإيقاد، وأن تصرف للمؤذنين وقومة المساجد وأئمتها أرزاقهم من بيت المال.

٥ - أن تكفل الحرية الدينية للمصريين يتبعون المذهب الذى يريدون، ويؤدون فرائضهم فى المساجد فى حرية تامة.

٦ - أن تتمتع الأقليات غير الإسلامية بالحرية الدينية كذلك.

وعاد الوفد إلى الفسطاط، فقرأوا العهد والأمان على الوزير والجند وعلم به الناس. أما العامة فقد رضيت به، وأما الجند فقد انقسموا على أنفسهم، وأصر الإخشيدية والكافورية على القتال، وعبروا إلى الجزيرة وتحصنوا بها، غير أنهم يكونوا على شىء من القوة، كما كانت تنقصهم الوحدة والقيادة الحكيمة، فلم يلبثوا بعد اشتباكهم فى القتال مع جيش جوهر أن هزموا وولوا الأدبار.

وشاع الذعر ثانية بين الناس فى الفسطاط، وطلبوا إلى الشريف أبى جعفر مسلم أن يسأل جوهر إعادة الأمان، ففعل، وأعيد الأمان، وهدأت النفوس، وخرج الوزير جعفر بن الفرات ومعه الأشراف ووجوه البلد يوم الثلاثاء السابع عشر من شعبان ٣٥٨هـ لقابلة جوهر، ودخل جوهر الفسطاط على رأس جيشه، الشريف أبو جعفر عن يمينه، والوزير ابن الفرات عن شماله، وشق المدينة ونزل فى مناخه الذى هو موضع القاهرة الآن.

الباب الثانى

مصر فى العصر الفاطمى

الفصـــل الأول : تأسيس القاهرة.

الفصـل الثانى : الجامع الأزهر.

الفصـل الثالث: العصر الفاطمى الأول، عصر القوة والازدهار.

الفصـــل الرابع : العصر الفاطمى الثانى، عصر الضعف والانحلال.

الفصل الخامس: نهاية الدولة الفاطمية وقيام دولة صلاح الدين.

الفصل الأول

تأسيس القـاهرة

كانت العاصمة الأولى الإسلامية هى الفسطاط التى أسسها عمرو بن العاص. ولما فر مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية إلى مصر تبعه القائد العباسى صالح بن على، ونـزل بعسـاكره شمـال الفسطاط.وبعد أن هزم مروان وقتله بنى عاصمة جديدة حيث نـزل بجنـده، وأسماهـا العسـكر، وبعد أن استقل أحمد بن طولون بمصر أسس عاصمته الجديدة القطـائع شمـال شـرقى العسـكر، ولما خضعت مصر لجوهر مر بجنده فى الفسطاط - كما ذكرنا - ثم تركها ونزل بجنده فى المنـاخ لواقع شمال شرقى القطائع، ووضع أسـاس العاصمـة الفاطميـة الجديـدة - القـاهرة - فـى نفـس الليلة - ١٧ شعبان سنة ٣٥٨ هـ -.

وكان موقع المدينة قبل تأسيسها صحراء مغطـاة بالرمـال يمـر بـها النـاس فـى مسيرهم مـن الفسطاط إلى عين شمس، ولم يكن بها عند نزول جوهر سوى بستان الإخشيد المعروف بالبسـتان الكافورى، ودير للنصارى يعرف بدير العظام، وبناء يعرف بقصر الشوك.

وقيل فى سبب تسمية المدينة بالقاهرة أن جوهرا لـما أراد تأسـيس العاصمـة الجديـدة أحضـر المنجمين. وأمرهم باختيار طالع سعيد لوضع الأساس، فجعلوا بدائر السـور قوائـم مـن خشـب، ووصلوا بين كل قائمتين بحبل علقوا فيه أجراسًا. وقالوا للعمال: إذا تحركـت الأجـراس فـالقوا ما بأيديكم من طين وحجارة. وبينما العمال منتظرون إذ وقف غـراب علـى أحـد تلـك الحبـال، فتحركت الأجراس جميعا وبدأ العمال فى البناء، فصاح المنجمون: لا، لا، القاهر فـى الطـالع، فسميت المدينة بالقاهرة، والقاهر هو المريخ.

ولكننا لا نميل إلى تصديق هذا الرأى، فهو أقرب إلى القصص الخياليـة، ويؤيدنـا فـى شـكنا المقريزى نفسه راوى هذه القصة، فإنه يقول فى موضع آخر إن جوهرا «لما سار من الجـيزة بعـد زوال الشمس من يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من شـعبان سـنة ٣٥٨هـ بعسـاكره، وقصـد إلى مناخه الذى رسمه له مولاه الإمام المعز لدين الله أبو تميم معد، واستقرت به الدار اختط القصر، وأصبح المصريون يهنئونه، فوجدوه قد حفر الأسـاس فـى الليـل، فـأدار السـور اللبن، وسماهـا المنصورية، إلى أن قدم المعز لدين الله من بلاد المغرب إلى مصر، ونزل بها فسماها القاهرة»[1].

وهذا فيما نرى السبب الصحيح لتسمية القاهرة، فإن جوهـرًا عندمـا وضـع الأسـاس للمدينـة الجديدة سماها «المنصورية». ولعله كان يريد أن يتقرب إلى خليفتـه المعـز بإحيـاء ذكـرى والـده

(١) المقريزى: الخطط جـ ٢، ص ٢٠٤.

الخليفة المنصور، فسمى العاصمة الجديدة باسمه، واختار لها موقعًا خارج العاصمة القديمة الفسطاط لينزل بها الجند، كما كانت المنصورية خارج القيروان، وسمى بابين من أبواب المدينة الجديدة باسمى: زويلة والفتوح، وهما اسمان لبابين بمدينة المنصورية فى المغرب.

فلما أتى المعز إلى مصر سماها «القاهرة» تفاؤلاً، يريد بذلك أنها ستقهر الدولة القديمة التى قام الفاطميون لمنافستها والقضاء عليها، وهى الخلافة العباسية، فالمعز نفسه هو صاحب هذه التسمية، وقد اختارها وهو بعد فى المغرب، فقد روى أنه قال عند وداعه لجوهر أمام جمع من شيوخ كتامة «والله لو خرج جوهر هذا وحده لفتح مصر، ولتدخلن إلى مصر بالأردية من غير حرب، ولتنزلن فى خرابات ابن طولون، وتبنى مدينة تسمى القاهرة تقهر الدنيا»[1].

ومما ينفى قصة الغراب والحبال نفيًا باتًا أن المسعودى[2] يروى قصة شديدة الشبه جدًا بهذه القصة وينسبها إلى الإسكندر عند بنائه الإسكندرية، فلعل المقريزى نقلها عن مراجع متأخرة شبه عليها الأمر عند الكلام عن قاهرة المعز فاقتبست ما قيل عن إسكندرية الإسكندر.

وأول ما بنى فى القاهرة القصر الكبير ليكون سكنًا للخليفة وأتباعه، ومقرًا لدواوين الحكم، وضع جوهر أساس هذا القصر ليلة نزل بالمناخ.

وفى يوم السبت لست بقين من جمادى الآخرة سنة ٣٥٩ هـ (٥ مايو سنة ٩٧٠م) اختطت القاهرة، فنزلت كل قبيلة أو فرقة من فرق الجيش فى مكان خاص بها وسميت خططها بالحارات، ومنها حارة زويلة، ونزلت بها قبيلة زويلة، وحارة كتامة، ونزلت بها قبيلة كتامة، وحارة البرقية، ونزل بها قوم من برقة.. وهكذا.

ويقال فى سبب اختيار جوهر لهذا المكان كى يبنى مدينته عليه إنه رغب «أن تصير حصنًا فيما بين القرامطة وبين مدينة مصر ليقاتلهم من دونها، فأدار السور اللبن على مناخه الذى نزل فيه بعساكره، وأنشأ من داخل السور جامعًا وقصرًا، وأعدها معقلاً يتحصن به وتنزله عساكره، واحتفر الخندق من الجهة الشامية ليمنع اقتحام عساكر القرامطة إلى القاهرة وما وراءها من المدينة»[3].

وكانت القاهرة عند إنشائها صغيرة المساحة، ويقدر «على مبارك» فى كتابه «الخطط» أن كل جانب من جوانبها كان يبلغ وقتذاك ألفا ومائتى متر، وأن مساحتها كانت ٣٤٠ فدانًا (الفدان ٤٢٠٠ متر)، وكان القصر يشغل خمس هذه المساحة، أى نحو سبعين فدانًا، وكان

---

(١) المقريزى: اتعاظ الحنفا، نشر الشيال، ص ١٦٢.

(٢) المسعودى: مروج الذهب، ج ١، ص ٢١٥.

(٣) المقريزى: الخطط، ج ٢، ص ١٧٩ – ١٨٠.

بستان كافور يشغل عشر المساحة أى ٣٠ فدانا، وكان الميدان المعد لعرض الجند يشغل ٣٥ فدانا أخرى، أما الباقى وقدره مائتا فدان فقد خصص لنزول فرق الجند المختلفة.

وكان السور الأول الذى بناه جوهر من اللبن، وقد أدرك المقريزى قطعة منه كانت باقية حتى سنة ٨٠٣ هـ (١٤٠١م)، وأعجب ببنائه، وذكر أن اللبنة الواحدة منه كانت قدر ذراع فى ثلثى ذراع، كما ذكر أن عرض جدار السور عدة أذرع، وأنه يسع أن يمر به فارسان:

وكان للسور عدة أبواب فى جهاته المختلفة، فكان فى جهته القبلية بابان متلاصقان يقال لهما «بابا زويلة»، وفى جهته البحرية بابان متباعدان، هما: باب الفتوح، وباب النصر، وفى جهته الشرقية بابان، هما باب البرقية والباب الجديد؛ وفى جهته الغربية بابان، هما: باب القنطرة وباب سعادة. ثم أضيفت أبواب أخرى بعد نمو المدينة وتجديد السور.

ولم يكن هذا السور هو الوحيد الذى بنى حول القاهرة، وإنما بنى بعده سوران آخران، أحدهما بناه أمير الجيوش بدر الجمالى وزير الخليفة المستنصر فى سنة ٤٨٠ هـ (١٠٨٧م) ليحيط بزيارات أضيفت إلى القاهرة فى الجهتين البحرية والقبلية، وكان هذا السور من اللبن وأبوابه من الحجارة، ولازال بابان من أبواب هذا السور، وهما باب النصر وباب الفتوح، موجودين حتى اليوم وعليهما نقوش تحمل اسم منشئهما (بدر الجمالى) وتاريخ انشائهما.

وبنى السور الثانى صلاح الدين يوسف بن أيوب، بدأ عمارته سنة ٥٦٦ هـ وهو وزير للخليفة الفاطمى العاضد، وفى سنة ٥٦٩ هـ عين قائده بهاء الدين قراقوش للإشراف على إتمامه، وقد بنى هذا السور كله من الحجر، وكان يضم داخله مدينتى القاهرة ومصر - أى الفسطاط - ولا تزال أجزاء منه باقية حتى اليوم جنوب أطلال الفسطاط، وكان محيط هذا السور ٢٩٣٠٢ ذراع، وكان يبدأ فى الشمال عند قلعة المقس (ميدان باب الحديد الحالى حيث كان يجرى النيل وقتذاك) ميناء القاهرة على النيل، ويدور حول القاهرة والفسطاط جميعا ثم ينتهى جنوبًا عند ساحل مصر (الفسطاط). وكان خارج السور خندق لحمايته وحماية المدينة، وبذلك كان حدًا المدينة الشمالى والجنوبى ينتهيان عند السور، أما الحد الغربى فكان خليج أمير المؤمنين، كما كان جبل المقطم هو الحد الشرقى.

وكانت القاهرة فى العصر الفاطمى ضاحية ملوكية، يسكنها الخليفة وحرمه وجنده، وخواصه، وكانت - كما وصفها المقريزى -: «معقل قتال يتحصن بها ويلتجئ إليها»، فلما قدم إلى مصر أمير الجيوش بدر الجمالى أثناء الشدة العظمى التى كانت فى عهد المستنصر وجد أن القاهرة مدينة خالية غير عامرة «فأباح للناس من العسكرية والملحية والأرمن، وكل من وصلت قدرته إلى عمارة بأن يعمر ما شاء فى القاهرة مما خلا من فسطاط مصر ومات أهله، فأخذ الناس ما كان هناك من أنقاض الدور وغيرها وعمروا به المنازل فى القاهرة وسكنوها»[1].

---

(١) المقريزى: الخطط، ج ٢، ص ١٨٤.

ولما انتهت الدولة الفاطمية وولى حكم مصر السلطان صلاح الدين «نقلها عما كانت عليه من الصيانة، وجعلها مبتذلة لسكن العامة والجمهور وحط من مقدار قصور الخلافة، وأسكن فى بعضها، وتهدم البعض، وأزيلت معالمه، وتغيرت معاهده، فصارت خططًا وحارات وشوارع ومسالك وأزقة، ونزل السلطان (صلاح الدين) منها فى دار الوزارة الكبرى.. إلخ».

ثم تخطيط القاهرة بعد الفتح الفاطمى بعام، وفى يوم السبت لست بقين من جمادى الآخرة سنة ٣٥٩ هـ (٥ مايو سنة ٩٧٠م) بدأ جوهر عمارة الجامع الأزهر فى الجنوب الشرقى من القصر الكبير، وتم بناؤه بعد عامين، ففتح للصلاة أول مرة فى شهر رمضان سنة ٣٦١ هـ (٩٧٢م).

وظل جوهر يحكم مصر، ويمهد الفتوح فى الأقاليم المجاورة نحو أربع سنوات. ولما تم له إخضاع مصر والشام والحجاز، وبعد أن أكمل تأسيس القاهرة وبناء القصر والمسجد الجامع، أرسل للمعز يستدعيه إلى مصر، وخرج المعز من المنصورية يوم الاثنين لثمان من شوال سنة ٣٦١ هـ، وفى يوم الثلاثاء الخامس من شهر رمضان سنة ٣٦٢ هـ وصل القاهرة، ولما دخل القصر خر ساجدًا لله تعالى ثم صلى ركعتين.

الفصل الثانى

الجـامع الأزهـر

كانت القاهرة - كما أسلفنا - رابعة العواصم المصرية فى العصر الإسلامى، وكانت سياسة الدول الإسلامية تقضى بأن ينشأ فى كل عاصمة جديدة مسجد جامع، وترجع هذه السياسة إلى عهد عمر بن الخطاب، فقد كتب إلى ولاته على الأقاليم المفتوحة - ومنهم عمرو بن العاص - أن يتخذ كل منهم فى عاصمته مسجدًا للجماعة، واتباعًا لهذه السياسة بنى عمرو مسجده فى الفسطاط، فلما أنشئت العسكر فى أول العصر العباسى بنى فيها مسجد جامع، وعندما أسس أحمد بن طولون مدينة القطائع بنى فيها مسجده الجامع كذلك.

فهذه المساجد الجامعة كانت رمزًا لظفر المسلمين، وكانت مركزًا للدعوة الدينية، وفيها كانت تقام صلاة الجماعة، كان يؤم الناس فى الصلاة - فى العصر الأول - ولاة مصر، فقد كان الغرض الأساسى من الفتوح الإسلامية نشر الدين الجديد، ولذلك كانت ولاية الصلاة ذات أهمية كبرى، فكان الوالى على مصر يجمع بين الولاية على صلاتها وخراجها، أو يكتفى بولايته على صلاتها، ويعين إلى جانبه وال آخر على خراجها.

وكانت المساجد أيضًا مقرًا لدواوين الحكم، ومجلسًا للقضاة، ومعاهد لنشر العلم، ومنبرًا لإذاعة الأوامر الحكومية.

بنى الجامع الأزهر إذن وفى مصر مسجدان جامعان، جامع عمرو وجامع أحمد بن طولون، لأن جامع العسكر كان قد هدم وزالت معالمه، وقصد الفاطميون ببناء هذا الجامع أن يكون مصلى للخليفة وجنوده، وأن يكون مسجدًا جامعًا للعاصمة الجديدة، وأن يكون مركزًا لنشر الدعوة الشيعية، وأن يكون رمزًا لانتصار الدولة الجديدة على الدولة العباسية.

بدئ فى إنشاء الجامع الأزهر فى ٢٤ جمادى الأولى سنة ٣٥٩ هـ (أبريل ٩٧٠م) وتم بناؤه فى عامين وثلاثة أشهر، وافتتح للصلاة أول مرة فى يوم الجمعة السابع من رمضان سنة ٣٦١ هـ (٩٧٢م).

وسمى الجامع عند إنشائه جامع القاهرة - أى باسم العاصمة الجديدة - وظلت هذه التسمية غالبة عليه طول العصر الفاطمى، ولم يسم بالجامع الأزهر إلا فى تاريخ متأخر، ودليلنا على ذلك أن معظم مؤرخى العصر الفاطمى - وفى مقدمتهم المسبحى وابن الطوير - يذكرون هذا المسجد دائمًا باسم جامع القاهرة، وقلما يشيرون إليه باسم الجامع الأزهر.

ويرى البعض أن هذا المسجد سمى بالجامع الأزهر بعد إنشاء القصور الفاطمية فى عهد العزيز بالله، فقد كانت هذه القصور تسمى بالقصور الزاهرة، ومن ثم أطلق على الجامع اسم الجامع الأزهر، ولكنا نرجح أن هذه التسمية مشتقة من لفظ الزهراء، لقب السيدة فاطمة الزهراء، ابنة الرسول وزوج على بن أبى طالب، وإليها تنتسب الدولة الجديدة، وباسمها تسمى.

ولبث الجامع الأزهر موضع عناية الخلفاء الفاطميين جميعا ورعايتهم، فكان كل خليفة منهم يتولى الحكم يعمل على تجديده والزيادة فيه وتزيينه حتى زالت الدولة، وبدأت فى مصر دولة صلاح الدين، وهى دولة سنية قامت للقضاء على المذهب الشيعى، فأهمل الجامع الأزهر، لأنه كان المركز الرئيسى لنشر الدعوة الشيعية، وأبطل الخطبة فى الجامع الأزهر قاضى القضاة فى عهد صلاح الدين؛ وأسمه صدر الدين عبد الملك بن درباس، فقد كان شافعى المذهب، والمذهب الشافعى يمنع إقامة خطبتين للجمعة فى بلد واحد.

أبطل هذا القاضى الخطبة من الجامع الأزهر، وأقرها بالجامع الحاكمى، وظل الأزهر معطلاً من إقامة الجمعة فيه نحو مائة عام حتى ولى عرش مصر الظاهر بيبرس، فأعيدت الخطبة إلى الجامع، وعادت إليه أهميته، وعنى به كثيرًا فى عصر المماليك والعصور اللاحقة إلى وقتنا الحاضر.

كان للأزهر عند إنشائه الصفة الدينية الرسمية - شأنه فى ذلك شأن المساجد الجامعة الأخرى - ولكنه لم يلبث أن اتخذ صفة أخرى هامة هى الصفة العلمية التعليمية، وذلك منذ فكر الفاطميون فى نشر مذهبهم الجديد بواسطة دروس تلقى فى حلقاته.

وقد كانت المساجد الجامعة التى بنيت قبله - وخاصة جامع عمرو - مراكز لنشر العلم، وفى حلقاتها كانت تلقى الدروس فى الفقه والتفسير والحديث واللغة والأدب وسائر العلوم المختلفة، غير أن مسجدى عمرو وابن طولون كانا قد اتخذا لهما فى العصر الإسلامى الأول تقاليد علمية خاصة، فكان من الأوفق إذن أن يكون المسجد الجامع الجديد هو المركز الجديد لنشر المذهب الجديد.

يقول المقريزى: «وفى صفر سنة خمس وستين وثلاثمائة جلس على بن النعمان القاضى بجامع القاهرة المعروف بالجامع الأزهر وأملى مختصر أبيه فى الفقه عن أهل البيت.. وكان جمعًا عظيمًا، وأثبت أسماء الحاضرين». فكانت هذه أول حلقة عقدت للتدريس فى الجامع الأزهر، ثم تتابعت حلقات بنى النعمان بعد ذلك لتدريس المذهب الشيعى.

وفى رمضان سنة ٣٦٩هـ (٩٨٠م) جلس يعقوب بن كلس - وزير الخليفة العزيز بالله - وقرأ على الناس كتابًا ألفه فى الفقه الشيعى على مذهب الإسماعيلية، وكان يجلس بعد ذلك لقراءته فى الأزهر، ويحضر دروسه الفقهاء والقضاة وكبار رجال الدولة.

ويعتبر الوزير ابن كلس أول من فكر فى جعل الجامع الأزهر معهدًا للدراسة المنتظمة، ففى سنة ٣٧٨ هـ (٩٨٨م) استأذن ابن كلس الخليفة العزيز بالله فى أن يعين بالأزهر جماعة من الفقهاء (أى الطلاب) للدرس والقراءة فى أوقات منتظمة مستمرة على أن تعقد حلقاتهم فى الأزهر كل يوم جمعة من بعد الصلاة حتى العصر، وكان عددهم خمسة وثلاثين فقيهًا، ورتب لهم العزيز - تنفيذًا لاقتراح ابن كلس - أرزاقًا وجرايات شهرية، وابنى لهم دارًا لسكناهم بجوار الجامع الأزهر، «وخلع عليهم يوم عيد الفطر وحملهم على بغلات..»، «وكان لهم أيضًا من مال الوزير صلة فى كل سنة..».

فمنذ هذا التاريخ اتخذ الأزهر صفته التعليمية الجامعية، فعين له طلبة متفرغون للدراسة، ووفرت الدولة لهؤلاء الطلاب كل ما يعينهم على الدراسة والتحصيل حتى لا تشغلهم مطالب الحياة أو السعى وراء الرزق، فرتبت لهم الأرزاق والجرايات، وبنت لهم المساكن،وقدمت لهم الكسوة فى كل عيد، ويسرت لهم سبل الركوب والانتقال.

وظلت هذه الصفة التعليمية الجامعية مميزة للجامع الأزهر طول العصر الفاطمى، فزاد عدد طلابه وأساتذته، وكثرت أروقته وحلقات التعليم فيه، ونمت الدراسة وازدهرت، حتى بدأ يجتذب إليه الطلاب والعلماء من خارج مصر. وتعطلت هذه الصفة التعليمية وقتًا ما فى العصر الأيوبى، ولكنها لم تلبث أن عادت إليه مرة أخرى أقوى وأعظم مما كانت عليه منذ عهد الظاهر بيبرس، وبرزت هذه الصفة بروزا واضحًا فى عصر المماليك وما تلاه من عصور، وساعد على هذا أن غزوات المغول فى المشرق قضت على معظم المدارس فيه، وأن معاهد العلم والمساجد الإسلامية المزدهرة بالمغرب انتهى أمرها أيضًا حوالى هذا العصر إلى الضعف والانحلال، وتوافد العلماء من الشرق ومن الغرب إلى مصر يجدون فيها الملجأ والملاذ، فأصبحت القاهرة فى العصر المملوكى مركز العالم الإسلامى، وأصبح الأزهر قبلة طلاب العلم من مختلف جهات العالم الإسلامى.

وقد مرت بالأزهر عصور ازدهار وعصور اضمحلال، ولكنه قاوم الأعاصير التى قابلته، وحافظ على المكانة المرموقة التى يتمتع بها فى قلب كل مسلم فى جميع أنحاء الأرض، فإنه يعتبر حتى اليوم أكبر معهد للدراسات الإسلامية.

الفصل الثالث

العصر الفـــاطمى الأول

عصر القوة والازدهار

حكمت الدولة الفاطمية مصر مدة تنيف على القرنين (٣٥٨هـ - ٥٦٧هـ = ٩٦٩م - ١١٧١م)، غير أنا نستطيع أن نقسم هذه المدة قسمين على وجه التقريب، كانت الخلافة الفاطمية تتسم فى كل منهما بسمات وصفات خاصة.

ففى القسم الأول ومداه قرابة قرن من الزمن وينتهى فى النصف الأول من حكم الخليفة المستنصر تقريبًا (حوالى سنة ٤٥٧هـ)، بذلت الخلافة الفاطمية جهدها لتنظيم شئون مصر الداخلية، فنشرت الأمن فى ربوعها، ووضعت النظم الإدارية الدقيقة، وعنيت بالجيش والأسطول، ونمت الزراعة، ونهضت بالتجارة الداخلية، وشجعت الآداب والعلوم والفنون.

وفى هذه الفترة أيضًا امتاز خلفاء الفاطميين بقوة الشخصية، فكانت السلطة كلها فى أيديهم، ولهم على الشعب ورجال الدولة النفوذ الأول، وللوزراء المكانة الثانية، وفيها امتد النفوذ الفاطمى الخارجى حتى وصل أوجه وأقصاه، فخضعت لهم اليمن والحجاز ومصر والمغرب وصقلية والشام، وخطب لهم فى الموصل وبغداد وقتًا ما.

وخير ما يؤيد هذه السمات التى اتسمت بها الخلافة الفاطمية فى الشطر الأول من حكمها أن نستعرض جهود الخلفاء الذين تولوا الحكم فى هذه الفترة.

كان أول الخلفاء الفاطميين فى مصر هو المعز لدين الله، وقد حكمها ثلاث سنوات (٣٦٢هـ - ٣٦٥هـ) ركز جهوده فى خلالها لتنظيم مركز حكمه الجديد، فعنى أول ما عنى بشئون مصر المالية، لأن مصر كانت وشيكة الخروج من المجاعة الخطيرة التى أصابتها قبيل الفتح الفاطمى وإبانه، فمنع المعز النداء بزيادة النيل - كما كانت العادة قديمًا - وأمر ألا يكتب بذلك إلا إليه وإلى قائده جوهر، حتى إذا تم الفيضان ووصل إلى أقصاه، أعلن ذلك للناس واشترك فى الاحتفال بوفاء النيل. ثم عهد بإدارة شئون مصر المالية جميعا إلى رجلين من أقدر رجال ذلك العصر، وهما يعقوب بن كلس وعسلوج بن الحسن، فقاما بما عهد به إليهما خير قيام، حتى زادت إيرادات الدولة زيادة كبيرة ملحوظة فى وقت وجيز.

وتأكيدًا لاستقلال مصر الاقتصادى عن الدولة العباسية أمر المعز فضربت سكة مصرية جديدة باسمه، وفضل الدينار المعزى فى المعاملات الحكومية على الدينار العباسى، فقلت قيمة هذا الأخير وطرد من السوق شيئًا فشيئًا.

وفى عهده اشتد خطر القرامطة وهددوا مصر برًا وبحرًا، ووصل أسطولهم إلى مدينة تنيس فقاتلهم أهلها، وأخذت عدة من سفنهم وأسر عدد كبير من جنودهم.

وأدرك المعز ما قد تتعرض له مصر من خطر الهجوم عليها من ناحية البحر، فعنى بالأسطول عناية كبيرة، وبنى دارًا جديدة لصناعة السفن فى المقس - ميناء القاهرة - وأنشىء بهذه الدار فى عهده القصيرستمائة سفينة حربية «لم ير مثلها فيما تقدم كبرًا ووثاقة وحسنًا»[1]

وولى الخلافة بعد المعز ابنه العزيز بالله، وكان رجلاً سمحًا كريمًا شجاعًا، ولئن كان عصر المعز قد امتاز بالتنظيم الداخلى للدولة الجديدة، فإن عصر العزيز قد امتاز بالتوسع الخارجى، وامتدت الدولة المصرية عهده من المحيط الأطلسى غربًا إلى الخليج الفارسى شرقًا ومن أقصى الشام شمالاً إلى بلاد النوبة واليمن جنوبًا، وفتحت له حمص وحماة وشيزر، وخطب له المقلد العقيلى - صاحب الموصل - بالموصل وأعمالها فى المحرم سنة ٣٨٢هـ، وضرب اسمه على السكة والبنود، وخطب له باليمن، وخاف بأسه إمبراطور الدولة البيزنطية، فخطب وده، وأرسل إليه رسلاً يحملون الهدايا ويطلبون الصلح والهدنة، فأجابهم العزيز: واشترط شروطًا شديدة التزموا بها كلها منها: أنهم يحلفون أنه لا يبقى فى مملكتهم أسير إلا أطلقوه. وأن يخطب العزيز فى جامع القسطنطينية كل جمعة، وأن يحمل إليه من أمتعة الروم كل ما افترضه عليهم، ثم ردهم بعقد الهدنة سبع سنين [2].

وهكذا ابلغت مصر الذروة فى عهد العزيز، فأصبحت إمبراطورية واسعة تضم - كما أسلفنا - المغرب ومصر واليمن والجزيرة العربية والشام وجزيرة صقلية، وبهذا فاقت الخلافة العباسية قوة ونفوذًا واتساع ملك، وأصبحت الدولة الإسلامية الكبرى فى الشرق، وبدأت تهدد ما بقى فى أيدى العباسيين من ملك وفى الوقت نفسه كان العزيز يرنو ببصره نحو الخلافة الثالثة وهى الخلافة الأموية السنية فى الأندلس يريد أن يزيلها من الوجود لتصبح فى العالم الإسلامى خلافة واحدة هى الخلافة الفاطمية. لهذا أرسل العزيز إلى خليفة الأندلس يهجوه ويتهدده، غير أن الأندلس كانت فى ذلك الوقت فى عنفوان قوتها، فأرسل صاحبها ردا على خطاب العزيز الجملة المشهورة التى يعرض فيها بنسب الفاطميين والتى يقول فيها، «أما بعد، فقد عرفتنا فهجوتنا، ولو عرفناك أجبناك».

---

(١) المقريزى، الخطط، ج ٣ ص ٣١٧ (عن المسبحى).

(٢) ابن تغرى بردى. النجوم الزاهرة، ج ٤، ص١٥١ -- ١٥٢.

وقد رأى العزيز أن الجيش القوى هو السياج الطبيعى لحماية هذه الدولة الكبيرة المترامية الأطراف، فصرف همه للعناية بالجيش، وهو أول من استعان من الفاطميين بالعنصرين التركى والسودانى، فأصبح فى جيش مصر فرق من هذين العنصرين بعد أن كان اعتماد الفاطميين على المغاربة الذين ساعدوهم فى فتح مصر وإقامة ملكهم بها. وقد كانت هذه العناصر مصدر قوة فى أول الأمر لما أمتاز به الترك والسودان من الشجاعة والإقدام ، غير أنها لم تلبث أن أصبحت سببًا من أهم أسباب ضعف الدولة وانحلالها عندما دب النزاع وقامت أسباب المنافسة والنضال بينها.

ولم تكن عناية العزيز بالأسطول أقل من عنايته بالجيش، حتى لقد أصبحت مصر فى عهده أكبر دولة إسلامية فى الشرق الأوسط.

وقد عرف العزيز بالتسامح مع أهل الذمة، فقد نعموا فى عهده بالحرية التامة فى أداء شعائر دينهم وترميم كنائسهم، وبناء كنائس جديدة، ولا غرو فقد كانت زوجته - أم ولده الحاكم - مسيحية روسية، وقد عين العزيز أخويها بطريركين ملكانيين فى الإسكندرية وأورشليم/ وكان من وزرائه يعقوب بن كلس اليهودى، وعيسى بن نسطورس المسيحى.

وفى عهد العزيز نمت ثروة البلاد وزادت ثروتها، فعاش الناس فى رفاهية، وعاش الخليفة حياة كلها بذخ وترف، وبنى لنفسه قصرًا جديدًا - عرف بالقصر الغربى - مقابل القصر الشرقى الكبير الذى بناه جوهر للمعز، وكان يفصل بين القصرين ميدان متسع يستخدم لعرض الجند، كما بدأ بناء جامعه الكبير الذى أتمه ابنه الحاكم فيها بعد وعرف باسم الجامع الحاكمى.

وكان من حسن حظ مصر أن طالت مدة حكم العزيز، فقد حكمها واحدًا وعشرين عامًا، وتوفى سنة ٣٨٦هـ، فخلفه ابنه الحاكم بأمر الله وهو بعد طفل لا يجاوز الحادية عشرة من عمره.

والحاكم شخصية عجيبة هى فى الحقيقة جماع المتناقضات، مما يدل على أنه كان ملتاث العقل غير متزن الفكر، فقد امتاز عهده بالقسوة والعنف وكثرة سفك الدماء.

وأوضح ما يميز الحاكم التناقض وازدواج الشخصية، فهو حينا دكتور جيكل وحينا آخر مستر هايد، وهو تارة شجاع مقدام محب للعلم والعلماء، وهو تارة أخرى جبان متردد منتقم من العلماء قاتل لهم، وكان الغالب عليه السخاء، غير أنه ربما بخل بما لم يبخل به أحد قط، وأقام يلبس الصوف سبع سنين، وامتنع من دخول الحمام، وأقام سنتين يجلس فى الجمع ليلاً ونهارًا، ثم عن له أن يجلس فى الظلمة فجلس فيها مدة، وكتب على المساجد والجوامع سب أبى بكر وعمر وعثمان وعائشة وطلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص فى سنة خمس وتسعين وثلاثمائة ، ثم محا ما كتب فى سنة سبع وتسعين، وأمر بقتل الكلاب ثم نهى عنه، ونهى من

الاشتغال بالنجوم وكان ينظر فيها، ومنع من صلاة التراويح عشر سنين ثم أباحها، ومنع من بيع العنب، وقطع الكروم، وأراق خمسة آلاف جرة عسل فى البحر خوفًا من أن تعمل نبيذا، ومنع النساء من الخروج من بيوتهن ليلاً ونهارًا، وجعل لأهل الذمة علامات يعرفون بها، وهدم الكنائس فى بلاده - ومن بينها كنيسة القيامة - ثم أمر بإعادة بنائها [1] .. وهكذا.

وقد قتل الحاكم عددا من وزرائه وانتهى به الأمر إلى أن ادعى الألوهية، وتكونت طائفة جديدة تنادى بألوهيته هى طائفة الدروز (نسبة إلى الدرزى أول دعاتها).

ورغم هذا التناقض العجيب فى تصرفاته كان الحاكم شخصية قوية جبارة يخافها ويخشى بأسها الجميع. وكان للخلافة الفاطمية فى عهده الشأن الكبير والمقام العظيم، ولم يكن لأحد من وزرائه ورجال جيشه ودولته ونفوذ إلى جانب نفوذه.

ومع هذا فقد كان لشخصية الحاكم المضطربة ولسياسته الخرقاء أثر جد خطير فى الدولة ومستقبلها، ففى عهده بدرت بوادر كثيرة مهدت لضعف الدولة وانحلالها.

بدأت هذه البوادر باجتراء الخلافتين السنيتين المعاصرتين على مهاجمة الدولة الفاطمية ومحاولة القضاء عليها، وقد حالت شخصيتا المعز والعزيز المتزنتان من قبل دون هذا الإجراء وهذا الهجوم.

أما الخلافة العباسية فلم يكن لديها من القوة المادية ما يمكنها من تدبير هجوم إيجابى، ولهذا فقد اتخذ هجومها شكلاً سلبيًا، فجمع الخليفة القادر عددًا من علماء بغداد وقضاتها، وكتبوا محضرًا طعنوا فيه فى النسب الفاطمى، وأعلنوا فيه أن الحاكم وسلفه «أدعياء خوارج لا نسب لهم فى ولد على بن أبى طالب» وإنما هم «كفار فساق زنادقة ملحدون معطلون، وللإسلام جاحدون، ولمذهب الثنوية والمجوسية ومعتقدون».

كتب هذا المحضر فى سنة ٤٠٢هـ، ووقع عليه الحضور من العلماء والقضاة، وأرسلت منه نسخ إلى مختلف أنحاء العالم الإسلامى، فكان له صدى قوى.

ثورة أبى ركوة:

أما الخلافة الأموية فى الأندلس فقد اتخذ هجومها شكلا آخر أكثر إيجابية وخطرًا، فقد خرج فى الصحراء الغربية خارج اسمه أبو ركوة، وادعى أنه ينتسب إلى بنى أمية. وجمع هذا الرجل جيشًا كبيرًا، وهاجم حدود مصر الغربية، وانضم إليه بنو قرة - من عرب البحيرة - وكانوا ناقمين على الحاكم لكثرة ما أوقع بهم وغنم من أموالهم. واشتد خطر أبى ركوة، فأرسل

---

(١) النجوم الزاهرة، ج ٤ ، ص١٧٦ - ١٧٨ ، نقلاً عن سبط ابن الجوزى فى مرآة الزمان.

إليه الحاكم جيشًا لمقاتلته، فهزم الجيش، فأرسل إليه جيشًا آخر فكتب له النصر، وتتبع أبا ركوة فى الصعيد، وانتهى الأمر بالقبض عليه فى بلاد النوبة وإرساله إلى القاهرة وقتله.

لقد اكتفت الخلافة العباسية بأضعف الإيمان، فأصدرت هذا المحضر وأرسلته إلى أطراف العالم الإسلامى، وانتهت ثورة أبى ركوة - التى كانت تؤيدها الخلافة الأندلسية - بالفشل، ولكن هاتين الحركتين أثرتا دون شك فى الدولة الفاطمية، فأضاعتا ما كان لها من هيبة قديمة، وبدأ الكل يجترئون عليها، وتطور الأمر إلى أن قام النزاع فى الداخل بين العناصر المختلفة المكونة للجيش الفاطمى من مغاربة وأتراك وسودان، واشتد النزاع بين كل فريق والآخر، ولم تهدأ الفتنة إلا بعد أن قتل عدد كبير من قادة الجيش.

ومن الأمور التى بدأت تزعزع كيان الدولة الفاطمية ما أقدم عليه الحاكم نفسه من محاولة تغيير أصل هام من أصول المذهب الإسماعيلى. وذلك أن نظام الوراثة عند الشيعة الإسماعيلية يقضى أن تكون الإمامه فى نسل على بن أبى طالب دون غيرهم، وأن تنتقل دائمًا من الأب إلى الابن، لأنهم كانوا يعتقدون أن للإمامة صفات وعلومًا خاصة تنتقل بالوراثة كما تنتقل الصفات الخلقية تمامًا.

وقد التزم الفاطميون منذ إقامة دولتهم هذا النظام، فكان كل خليفة ابنا للخليفة السابق. ولكن الحاكم حاول مخالفة هذا المبدأ، فأوصى بولاية العهد لابن عمه عبد الرحيم بن إلياس، وأصدر أوامره بأن يضرب اسمه إلى جانب اسم الخليفة على السكة، وأن ينقش على البنود والطراز، كما أمر أن ينوب ابن عمه وولى عهده عنه فى الخطبة والصلاة والنحر والنظر فى المظالم، وأن يسايره فى المواكب.

وكادت هذه المحاولة أن تؤدى إلى انقسام خطير بين الشيعة الإسماعيلية، لأن فى تنفيذها هدمًا لركن قوى من أركان المذهب، لولا أن الحاكم قتل، وقضت ست الملك أخت الحاكم على هذه المحاولة، فأرسلت إلى عبد الرحيم من قبض عليه وقتله، وأجلست الظاهر بن الحاكم على عرش الخلافة.

يتضح من هذا كله أن هذه البوادر الأربع: المحضر العباسى بالطعن فى النسب الفاطمى، وثورة أبى ركوة، والنزاع بين عناصر الجيش الفاطمى، ومحاولة الحاكم الخروج عن أصول المذهب الإسماعيلى، كان لها أثر قوى فى هز كيان الدولة الفاطمية، فبدأت عوامل الضعف تعمل فى بنيانها.

وولى الظاهر فى سنة ٤١١هـ عرش الخلافة بعد أبيه، وكان عند ذاك صبيًا مراهقًا فى السادسة عشرة من عمره تحت وصاية عمته ست الملك. فترك أمور الحكم بين يديها وبين أيدى رجال الدولة من وزراء وقادة وقضاة.

وأبرز ما يميز عهده أنه أباح كل ما كان قد حرمه أبوه، بل إنه قد غالى فأقبل هو نفسه على شرب الخمر، ورخص للناس بشربها، فأقبلوا على حياة اللهو.

ومما يحمد له أنه عمل على تحسين العلاقات بين مصر والدولة البيزنطية بع أن كانت قد بلغت من السوء مبلغًا كبيرًا فى عهد أبيه، فجدد الهدنة مع صاحب الروم فى سنة ٤١٨هـ بشروط كان أهمها: أن يفتح جامع القسطنطينية، وأن يعين فيه مؤذن، ويخطب فيه للظاهر، وأن يعيد الظاهر بناء كنيسة القيامة بمدينة القدس.

وفى سنة ٤٢٧هـ ولى الخلافة المستنصر بن الظاهر وعمره ٧ سنوات، وقد طالت مدة خلافته حتى بلغت ستين عامًا، وهى أطول مدة حكمها خليفة مسلم. وقد بلغت الخلافة الفاطمية فى القسم الأول من حكمه أوجها فى العظمة داخليًا وخارجيًا. وزار مصر فى هذا النصف الأول الرحالة الفارسى ناصر خسرو، ووصفها ووصف نظمها ومدنها وغناها وثروتها وحضارتها وصف المعجب بما رأى وشاهد.

وبدأن مصر فى هذا النصف الأول ترنو بأبصارها ثانية نحو العراق مقر الخلافة العباسية المتهاوية، وأحس الخليفة العباسى بوادر الخطر، فأصدر فى سنة ٤٤٤هـ محضرًا ثانيًا شبيها بالمحضر الأول الذى صدر فى عهد الحاكم للطعن فى نسب الخلفاء الفاطميين، ووقع عليه كبار العلماء والقضاة فى بغداد، وأرسلت منه نسخ إلى أطراف العالم الإسلامى.

ولكن رد المستنصر كان قويًا وإيجابيًا، ففى سنة ٤٤٨هـ خرج على الخليفة العباسى أحد قواده وهو أبو الحارث البساسيرى، وانتمى للخليفة المستنصر، فأرسل إليه الأموال والسلاح.

وتقدم البساسيرى فى سنة ٤٥٠هـ فدخل بغداد، ففرمنها الخلفة العباسى القائم بأمر الله، وأرسل البساسيرى ثياب هذا الخليفة الفار وعمامته إلى القاهرة، وخطب للمستنصر على منابر بغداد نحو عشرة شهور، وحذت مدن العراق الأخرى حذو بغداد، وخطب للمستنصر فى هذه السنة على منابر البصرة وواسط وأعمالها.

الفصل الرابع

العصر الفاطمى الثانى

عصر الضعف والانحلال

وهكذا بلغت الخلافة الفاطمية المصرية فى النصف الأول من حكم المستنصر أو ج عظمتها وأقصى اتساعها، فامتدت من المحيط الأطلسى إلى العراق، ولكن عوامل الضعف الكامنة لم تلبث أن بدأت تنخر فى كيان الدولة فى النصف الثانى من حكم هذا الخليفة، فدخل طغرل بك السلجوقى بغداد وقتل البساسيرى، وأعاد الخليفة العباسى إلى عرشه، فانقطعت الخطبة للمستنصر وعادت للقائم.

وقبل هذا بقليل نشب نزاع بين البازورى - وزير المستنصر - والمعز بن باديس عامل الفاطميين على المغرب، وآل الأمر أن قطع ابن باديس الخطبة للفاطميين بالمغرب وأقامها للعباسيين.

وفى سنة ٤٥٧هـ أصيبت مصر بالمجاعة الخطيرة التى ظلت سبع سنوات (٤٥٧هـ - ٤٦٤هـ) فكانت الطامة الكبرى، وتدهورت أحوال مصر الاقتصادية تدهورًا خطيرًا، والمقريزى يسمى هذه المجاعة «بالشدة العظمى»، ويرجع أسبابها إلى ضعف السلطنة، واختلال أحوال المملكة، واستيلاء الأمراء على الدولة، واتصال الفتن بين العربان، وقصور النيل، وعدم من يزرع ما شمله الرى.

وكان من نتائجها - فى رأيه - أن: «نزع السعر وتزايد الغلاء، وأعقبه الوباء حتى تعطلت الأراضى من الزراعة، وشمل الخوف، وخيفت السبل برًا وبحرًا، وتعذر السير إلى الأماكن إلا بالخفارة الكثيرة وركوب الغرر، واستولى الجوع لعدم القوت حتى أبيع رغيف الخبز فى النداء بزقاق القناديل من الفسطاط كبيع الطرف بخمسة عشر دينارًا، وأبيع الأردب من القمح بثمانين دينارًا، وأكلت الكلاب والقطط حتى قلت الكلاب فبيع كلب ليؤكل بخمسة دنانير، وتزايد الحال حتى أكل الناس بعضهم بعضًا.. ثم آل الأمر إلى أن باع المستنصر كل ما فى قصره من ذخائر وثياب وأثاث وسلاح وغيره، وصار يجلس على حصير، وتعطلت دواوينه، وذهب وقاره. وكانت نساء القصور تخرجن ناشرات شعورهن تصحن: «الجوع! الجوع!» تردن المسير إلى العراق فتسقطن عند المصلى وتمتن جوعا.. إلخ.. إلخ»[1].

---

(١) المقريزى: إغاثة الأمة، نشر زيادة والشيال، ص ٢٤، ٢٥.

وكان من نتيجة الغلاء الذى صاحب هذه المجاعة أن منعت مصر ما كانت ترسله إلى الحجاز من غلال ومؤن، وقطعت الخطبة للمستنصر فى مكة والمدينة، وخطب للخليفة العباسى فى سنة ٤٦٢هـ، وإن كانت قد أعيدت للمستنصر فى سنة ٤٦٩هـ.

وهكذا توالى انفصال أجزاء الدولة، فاتفصل شمال أفريقيا كله وخطب للعباسيين، ثم قطعت الخطبة من بغداد والعراق بعد أن أقيمت للفاطميين عشرة أشهر، ثم انقطعت الخطبة لهم فى الحجاز لمدة سبع سنوات. وأخيرًا فى سنة ٤٦٣هـ دخل النورمان صقلية واستولوا عليها، فخرجت بذلك عن حكم الفاطميين بعد أن ظلت جزءًا من أملاكهم منذ قامت دولتهم فى سنة ٢٩٧هـ.

وفى سنة ٤٦٦هـ تفاقم الحال واضطربت أمور مصر اضطرابًا شديدًا واختلت أحوالها، وعجز المستنصر عن أن يصنع شيئًا لعلاجها، فاستدعى واليه على عكا بدر الجمالى، فلبى الدعوة، وتولى بعد مجيئه أمور مصر كلها، وتلاشت - منذ ذلك الحين - سلطة الخليفة، وبدأ عهد سيطرة الوزراء.

وقد جرى المؤرخون الإسلاميون على تقسيم الوزارة إلى نوعين: وزارة تنفيذ، وفيها تكون السلطة كل السلطة بيد الخليفة وإنما يقوم الوزير بتنفيذ أوامره، ووزارة تفويض، وفيها يكون الخليفة مغلوبًا على أمره والأمور كلها مفوضة للوزير.

وتطبيقًا لهذا التقسيم النظرى نستطيع أن نقول إن وزراء العصر الفاطمى الأول كانوا جميعًا وزراء تنفيذ، أما وزراء العصر الفاطمى الثانى فكانوا جميعا وزراء تفويض وكان أولهم أمير الجيوش بدر الجمالى.

وقد أنشىء لبدر سجل خاص بتفويض أمور الحكم إليه جاء فيه:

«وقد قلدك أمير المؤمنين جميع جوامع تدبيره، وناظر بك النظر فى كل ما وراء سريره، فباشر ما قلدك أمير المؤمنين من ذلك مدبرًا للبلاد، ومصلحا للفساد، ومدمرًا لأهل العناد».

وأصبحت الأمور كلها مردودة إليه، والاتصال بين الخليفة وبينه اتصالاً مباشرًا. وجعل له تعيين قاضى القضاة وداعى الدعاة -- وكان تعيينهما من اختصاص الخليفة دون غيره - ولهذا لقب بكافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين.

وقد كان وزراء العصر الأول جميعا من أرباب القلم، أى من رجال الفكر والدين، أما بدر فقد كان من أرباب السيف - أى من رجال الجيش - ولهذا لقب أيضًا بالسيد الأجل أمير الجيوش، وهو اللقب الذى توارثه من بعده وزراء التفويض فى العصر الفاطمى الثانى، فقد كانوا جميعا من أرباب السيوف. ولم يحدث أن ولى الوزارة ابن بعد أبيه فى العصر الأول، وإنما حدث

هذا فى العصر الثانى. فولى الوزارة بعد بدر الجمالى ابنه شاهنشاه، فوزر للمستنصر ثم للمستعلى ثم للآمر . وقد زيد فى ألقابه «الأفضل»، وبه اشتهر، حتى أصبح يعرف بالأفضل شاهنشاه، وقد أضيف هذا اللقب أيضًا للوزراء من بعده.

ومنذ عهد الخليفة الحافظ لقب الوزير بلقب «الملك» وأول من لقب به رضوان بن ولخشى وزير الحافظ لدين الله فقيل له: «السيد الأجل الملك الأفضل»، ولقب به كذلك من أتى من بعده من الوزراء فقيل للصالح طلائع بن رزيك « الملك المنصور»، ولقب ابنه رزيك بن طلائع «بالملك العادل»، ولقب شاور «بالملك المنصور»، ولقب صلاح الدين - وهو آخر وزراء الدولة من أرباب السيوف - «بالملك الناصر».

وخير ما تدل عليه هذه الألقاب أن الوزير فى العصر الفاطمى الثانى أصبح هو كل شىء فى الدولة، فقد أصبح «السيد الأجل»، ثم «أمير الجيوش»، ثم «الأفضل»، ثم «الملك»، يقول المقريزى: «وصار وزير السيف من عهد أمير الجيوش إلى بدر إلى آخر الدولة هو سلطان مصر وصاحب الحل والعقد، وإليه الحكم فى الكافة من الأمراء والأجناد والقضاة والكتاب وسائر الرعية، وهو الذى يولى أرباب المناصب الديوانية والدينية..» [1].

ولهذا عرف العصر الفاطمى الثانى عند المؤرخين بعصر الوزراء، وتأييدًا لسلطانهم بنيت لهم دار خاصة فى القاهرة بالقرب من القصر الخليفى يباشر فيها الوزير شئون الحكم وعرفت باسم «دار الوزارة الكبرى».

وكان لتولى بدر الجمالى الوزارة نتائج أخرى كثيرة أهمها إضافة عنصر جديد إلى العناصر المكونة للجيش الفاطمى، فقد كان هذا الجيش فى أول أمره مكونا من المغاربة - وخاصة قبيلة كتامة - الذين أتوا مع جوهر لغزو مصر، ثم استعان العزيز بالله بالأتراك واستخدم عددًا كبيرًا منهم فى جيشه، ومنذ عهد الحاكم بدأ دخول السودان فى الجيش الفاطمى. فلما ولى المستنصر استكثرت أمه من السودان - فقد كانت منهم - حتى يقال إنهم بلغوا نحوا من خمسين ألأف أسود، واستكثر هو من الأتراك، فتجدد النزاع بين العنصرين وقامت بينهما - كما يقول المقريزى - :«الحرب التى آلت إلى خراب مصر وزوال بهجتها».

ثم قدم بدر الجمالى من عكا، وقتل رجال الدولة، وأقام له جندًا وعسكرًا من الأرمن - فقد كان هو أرمنيا - وصار معظم الجيش منذ ذلك الوقت من الأرمن.

وهكذا تعددت العناصر المكونة للجيش الفاطمى، فأصبح يتكون من المغاربة والعرب والأتراك والسودان والأرمن وغيرهم من الأجناس، وبدأت أسباب النزاع بين كل عنصر وعنصر، وكثيرًا

---

(١) المقريزى: الخطط ، ج ٢، ص ٣٠٥

ما أدى هذا النزاع إلى خراب البلاد ونهب أموال الأهلين، وكانت أسوأ نتائجه ضعف الجيش الفاطمى وبالتالى ضعف الدولة نفسها.

ولم تكن هذه وحدها هى الأسباب التى أدت إلى ضعف الدولة وانحلالها ثم زوالها، وإنما كانت تضاف إليها كلما تقدم الزمن بالدولة عوامل جديدة منها أن معظم خلفاء العصر الثانى تولوا الخلافة وهم بعد أطفال صغار مما زاد فى شوكة الوزراء واستقلالهم بأمور الحكم، فقد ولى الخليفة الآمر وعمره خمس سنوات، وولى الفائز فى نفس العمر، وتوفى فى الحادية عشرة من عمره، وولى العاضد كذلك وعنده أحد عشر عامًا.

وقد ولى هؤلاء الخلفاء فى هذه السن المبكرة لأن نظام الوراثة عند الشيعة الإسماعيلية كان يقضى كما ذكرنا - أن تكون الإمامة - أى الخلافة - فى نسل على بن أبى طالب دون غيرهم، وأن تنتقل دائمًا من الأب إلى الابن.[1] فهم فى هذا يختلفون عن أندادهم الخلفاء السنيين من الأمويين والعباسيين الذين كانوا يبيحون أن تنتقل الخلافة أحيانًا إلى الأخ أو إلى ابن العم أو إلى أكبر أفراد الأسرة سنا، لأنهم كانوا يشترطون فيمن يتولى الخلافة شروطًا أخرى كثيرة من أهمها أن يكون بالغًا عاقلاً سليم الحواس. وقد كان لنظام الوراثة عند الفاطميين فوائد كثيرة أهمها أنه كان عاملاً من عوامل الاستقرار، وأنه جنب الأسرة والدولة - إلى حد كبير - عوامل المنافسة والنزاع والتخاصم فى سبيل العرش.

غير أن هذا النظام كانت له إلى جانب هذه الفوائد مضار وعيوب منها أنه كان يوجب تولية هؤلاء الخلفاء الأطفال لا لشىء إلا لأن كلا منهم كان ابنا للخليفة السابق وقد نص على توليته العرش، مما أتاح الفرصة لاستبداد الوزراء بشئون الحكم وقيام أسباب التنافس والنزاع بين رجال الدولة المتطلعين إلى منصب الوزارة.

وكان من الشروط الهامة لصحة الإمامة عند الشيعة الإسماعيلية، الوصية أو «النص»، أى أن ينص الإمام السابق على الإمام اللاحق من أولاده، فهم يعتبرون النص بمثابة أمر بالتعيين صادر عن الإمام السابق، ولذلك هو عندهم شرط هام من شروط صحة الإمامة، ويشترط فى النص عندهم أن يصدر عن الإمام وقت نقلته ، أى عند موته، بمعنى أنه إذا صدر عن الإمام أكثر من نص لأكثر من ولد من أولاده فإنه لا يؤخذ إلا بالنص الأخير الذى صدر عنه وقت نقلته وانتقاله إلى الدار الآخرة ، لأنه فى رأيهم يجب كل النصوص الأخرى السابقة.

وقد التزم الفاطميون منذ إقامة دولتهم هذا النظام الوراثى بجميع شروطه فيما عدا ثلاث حالات.

---

(١) الشيال: مجموعة الوثائق الفاطمية ، القاهرة ١٩٥٨م، ص ٢.

– فى الحالة الأولى حاول الخليفة الحاكم بأمر الله أن يحرم ابنه، فعهد بولاية العهد لابن عمه عبد الرحيم بن إلياس، وقد أشرنا إلى هذه المحاولة وأثرها فيما سلف، ورأينا أنها لم يكتب لها النجاح، فقد قتل الحاكم قتلة تحوطها الريب والشكوك، وسعت أخته «ست الملك» حتى أقامت الظاهر بن الحاكم على عرش الخلافة.

– والحالة الثانية والثالثة خولف فيهما هذا المبدأ فعلاً وتولى الخلافة ابن العم لا الابن، فبعد وفاة الخليفة الآمر بأحكام الله ولى الخلافة ابن عمه الحافظ لدين الله، وبعد وفاة الخليفة الفائز ولى الخلافة ابن عمه العاضد لدين الله وهو آخر خلفاء الدولة.

وفى كل مرة خولف فيها نظام الوراثة – كما نص عليه المذهب – حدث انقسام مذهبى سياسى، وهذه الانقسامات المذهبية السياسية – وقد حدثت كلها فى العصر الفاطمى الثانى – هزت الدولة هزات عنيفة وكانت من أهم العوامل التى أدت إلى إضعاف الدولة وانحلالها.

فعند وفاة المستنصر حدث خلاف فى تحديد النص، فقال نزار – الابن الأكبر – بأن النص والوصية له، وقال الوزير القائم بالحكم الأفضل شاهنشاه بأن النص والوصية للابن الأصغر أبى القاسم أحمد – الذى ولى الخلافة باسم المستعلى –، وانتهى النزاع بهزيمة نزار وتولية المستعلى، وانقسم الإسماعيلية منذ ذلك الحين إلى فرقتين:

– الإسماعيلية النزارية التى نجح دعاتها فى إقامة ملك لهم فى قلعة الموت ثم فى الشام، وقد لعبوا دورًا خطيرا فى التاريخ الإسلامى فى القرنين الخامس والسادس.

– والإسماعيلية المستعلية أتباع الخلافة الفاطمية فى مصر.

وقد ناصب النزارية الفواطم فى مصر العداء، ولم يلق الخلفاء الفاطميون منذ عهد المستعلى أعداء أشد قسوة من النزارية، بحيث نستطيع أن نقول إن تاريخ الحركة الإسماعيلية بوجه عام وتاريخ الدولة الفاطمية فى مصر بوجه خاص كان من الممكن أن يتخذ شكلا آخر غير الذى عرفناه لو أن الإسماعيلية النزارية (الحشيشية) اتحدوا مع الفاطميين فى مصر بدلا من انتهازهم كل فرصة ممكنة للمكيدة لهم والإضرار بهم.

والحقيقة أن إبعاد نزار وتولية المستعلى يعتبر انقلابًا سياسيًا Coup d'état واضح المعالم قام به الوزير الأفضل شاهنشاه محافظة على السلطان القوى الذى كان يتمتع به منفردًا منذ أواخر عهد المستنصر بالله، فقد كان نزار – عند موت أبيه المستنصر – رجلاً مكتمل الرجولة، ولم تكن العلاقات بينه وبين الأفضل – أثناء حياة المستنصر – علاقات طيبة، بل لقد كانت على العكس علاقات يشوبها الكره المتبادل.

والانقسام المذهبى الثانى حدث بعد وفاة الخليفة الآمر، فقد خولفت أصول المذهب وولى الخلافة الحافظ ابن عم الآمر وفى حين أنه كان قد ولد للآمر قبيل وفاته ابن اسمه «الطيب» وأخذت له البيعة بولاية العهد، ولهذا انقسمت الإسماعيلية مرة ثانية إلى:

- إسماعيلية حافظية.
- إسماعيلية طيبية.

وقد مرت الدولة الفاطمية عند مقتل الخليفة الآمر بأزمة عنيفة كادت تودى بها وتضع حدًا لحياتها، وذلك أن بعض جواسيس النزارية تسللوا إلى القاهرة وتربصوا للآمر، وقتلوه فى ذى القعدة سنة ٥٢٤ هـ (١١٣٠م). وتذكر المراجع المطبوعة المتداولة - ومعظمها مراجع سنية - أن الآمر لم يكن عند قتله قد أعقب، وإنما ترك من بعده إحدى زوجاته حاملاً، فعين الحافظ - ابن عم الآمر - حاكمًا مؤقتًا، على أن يكون وليًا للعهد وكفيلاً للطفل الذى يولد إن أتى ذكرًا، ولكن الزوجة أنجبت بنتًا فاستقر الحافظ خليفة.

كان هذا هو الرأى الذى تعرضه المراجع السنية المتداولية إلى عهد قريب ولا تذكر رأيًا غيره، ثم بدأت تظهر فى عالم المطبوعات مراجع «تاريخية» سنية تشير إلى رأى آخر، وأول هذا المراجع «تاريخ مصر لابن ميسر»، وقد أورد المؤلف فيه نصًا يشير إلى أن الآمر كان قد ولد له قبل موته بشهور ولد أسماه أبوه «الطيب»، واحتفل بمولده احتفالاً علنيا رائعًا، وأعلنه وليًا لعهده وأرسلت السجلات بتولية الطيب ولاية العهد إلى اليمن، وأعلنت هناك،ولهذا سيظل إسماعيلية اليمن - فى معظمهم - بعد ذلك طيبية، ثم يكونون لهم جالية أخرى فى الهند تتبع نفس المذهب والفرقة.

ولكن بعض المؤرخين لا يزالون مع هذا - وحتى اليوم - يشكون فى هذه القصة وفى وجود الطيب، لأنه منذ مات الآمر لم يظهر إلى الوجود، بل أعلنت القصة الجديدة، قصة وجود زوجة من زوجات الآمر حاملاً، وقصة كفالة الحافظ للمولود المنتظر.

ثم ظهرت للنور بعد ذلك بعض المؤلفات السنية والشيعية تحمل نصوصًا جديدة عن الطيب، وكلها تثبت وجوده، وأنه ولد فى ربيع الأول سنة ٥٢٤هـ، وأنه أعلن بعد مولده وليًا للعهد، وزينت القاهرة ومصر زينة حافلة بهذه المناسبة. وورد فى كتاب «البستان الجامع» الذى نشره الأستاذ كلود كاهن نص يفيد أن الحافظ دس لهذا الطفل - بعد مقتل أبيه - أحد أتباعه «فأخذه عنده»، ولم يظهر له خبر إلى الآن بموت أو بغيره»[1].

وهذه النصوص تفيد أيضًا أن الطيبية - أتباع الطيب - انتشروا بعد ذلك فى اليمن والشام دون مصر.

---

(١) الشيال: مجموعة الوثائق الفاطمية، ٧٩ - ٨٥.

اختفى الطيب إذن من الميدان - بعد مقتل والده - وانتقلت السلطة الفعلية إلى اثنين من رجال الجيش هما: هزار الملوك وبرغش، واختار هذان القائدان عبد المجيد - ابن عم الآمر - ليلى السلطة من الناحية الشكلية فقط، وليكون كفيلاً للمولود المرتقب إن أتى ذكرًا.

واختار عبد المجيد (الحافظ) هزار الملوك ليكون وزيرًا له، ولكن هذا الوضع الجديد لم يعمر غير نصف يوم، فقد دفعت الغيرة برغش إلى تحريض قائد آخر له مكانته على الثورة، هذا القائد الآخر وهو أبو على أحمد بن الأفضل شاهنشاه - الملقب بكتيفات - وقد ثار هذا القائد فعلاً، وثار معه الجيش عقب الاحتفال بتولية هزار الملوك الوزارة، وانتهت الثورة بالقبض على هزار الملوك وقتله.

«واستقرت الوزارة لأبى على أحمد بن الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى، وكان يلقب بكتيفات، فى يوم الخميس سادس عشر ذى القعدة»[1].

«واستدعى (الحافظ) الخلع لأبى على، فأفيضت عليه يوم الأربعاء خامس عشرة، وركب إلى دار الوزارة، والجماعة مشاة فى ركابه، فكانت وزارة هزار الملوك نصف يوم بغير تصرف..».

وكان أول عمل باشره أبو على أحمد بعد توليه الوزارة أنه، «أحاط بالحافظ وسجنه فى خزانة فيما بين الإيوان وباب العيد.. وتمكن أبو على، واستولى على جميع ما فى القصر من الأموال والذخائر..».

هذا انقلاب جديد واضح المعالم كاد يضع حدًا نهائيًا للدولة الفاطمية الإسماعيلية، فأبو على قائد قواد الجيش له مكانة خاصة فى الدولة، فهو ابن وزير وحفيد وزير، وأبوه وجده كانت لهما السلطة الفعلية الكاملة والمكانة الأولى فى الدولة أيام وزارتيهما، وقد ثار أبو على ثورة عسكرية انتهت بقتل القائم، والقبض على الكفيل، وسجنه، ثم توليه هو السلطة كلها دون منازع أو مشارك.

ويضاف إلى هذا كله أمر هام بالغ الأهمية، وهو أن أبا على لم يكن إسماعيلى المذهب، بل كان إماميًا، ولهذا بدأ باتخاذ إجراءات كثيرة تهدف كلها للقضاء على المذهب الإسماعيلى وإلغائه، والاعتراف بالمذهب الإمامى، ومعنى هذا انتهاء الدولة الفاطمية الإسماعيلية وقيام دولة علوية إمامية. يقول المقريزى: «وكان (أبو على) إماميًا متشددًا، فالتفت عليه الإمامية ولعبوا به حتى أظهر المذهب الإمامى»[2].

ومن هذه الإجراءات التى اتخذها أبو على لإظهار المذهب الإمامى أنه:

---

(١) المقريزى: مخطوطة اتعاظ الحنفا، ص ١٣٣ ب.

(٢) المقريزى: مخطوطة اتعاظ الحنفا، ص ١٣٤ أ.

– رتب فى الحكم أربعة قضاة: قاضيًا للشافعية، وقاضيًا للمالكية، وقاضيًا للإسماعيلية، وقاضيًا للإمامية – وصار كل قاض يحكم بمذهبه، ويورث بمذهبه ويعلق المقريزى على هذا بقوله: «ولم يسمع بمثل هذا فى الملة الإسلامية قبل ذلك»[1].

– وأسقط اسم إسماعيل بن جعفر الصادق – الذى تنسب إليه الإسماعيلية – واسم الحافظ من الخطبة.

– وألغى الأذان الإسماعيلى الفاطمى.

– وجعل الخطبة على المنابر له وحده باعتباره «ناصر إمام الحق فى حالتى غيبته وحضوره، والقائم بنصرته بماضى سيفه وصائب رأيه وتدبيره».

– وضرب دراهم ودنانير جديدة باسم الإمام المنتظر.

حكم أبو على أحمد إذن حكمًا مطلقًا، واتخذ هذه الإجراءات الكثيرة التى تهدف جميعًا إلى القضاء على الإسماعيلية ومذهبهم، غير أنه ظل يشغله أمران: أمر الحافظ كبير أفراد الأسرة وولى العهد والكفيل السابق، وأمر المولود الجديد الذى ولد للآمر.

أما الحافظ فيبدو أنه لم يكن ذا خطر، ولم يكن له أعوان يشدون أزره، وقد سجنه أبو على أحمد، وشدد عليه الرقابة فى سجنه، وقد فكر أكثر من مرة فى قتله ولكنه لم يفعل.

وأما المولود فقد ظل أمره يقلق بال أبى على أحمد، وظل دائب البحث عنه. وقد تضاربت الأقوال فى شأن هذا المولود، فبعض المراجع المنشورة المتداولة تشير إلى أن المولود جاء بنتا، وبهذا أمن أبو على أحمد واطمأن، وبعض المراجع التى لا تزال مخطوطة تشير إلى أن المولود جاء ذكرًا، وأن أمه عملت على إخفائه خوفًا عليه من الوزير أبى على ومن الحافظ إلى أن قبض عليه الحافظ فيما بعد وقتله.

والرأى الثانى ذكره المقريزى فى كتابه «اتعاظ الحنفا» نقلاً عن الشريف محمد بن أسعد الجوانى، وهو الصحيح، بدليل ما تذكره المراجع أيضًا من أن أمر هذا المولود قد شغل بال أبى على أحمد كثيرا أثناء السنة التى انفرد فيها بالحكم، وأنه ظل طول هذه السنة دائب البحث عنه، فقد قال المقريزى فى نفس المرجع: «واشتد ضرره (أى ضرر أبى على أحمد» على أهل القصر من الإرعاد والإبراق، وأكثر من إزعاجهم، والتفتيش على ولد الآمر..».

ولبث أبو على أحمد يحكم مستقلاً ما يزيد عن السنة قليلاً، ولو طالت مدة حكمه لكان قد قضى على الدولة الفاطمية والمذهب الإسماعيلى نهائيًا، ولكن الإسماعيلية لم يرضوا عن حكمه،

---

(١) المقريزى: مخطوطة اتعاظ الحنفا، ص ١٣٤ أ.

وتكونت منهم معارضة قوية تولى زعامتها القائد يانس، وظلوا يتربصون بأبى على الفرص للقضاء عليه، إلى أن تمكنوا من قتله فى المحرم سنة ٥٢٦ هـ.

قضى إذن على أبى على أحمد، وقضى بطبيعة الحال على المحاولة التى حاولها لجعل الدولة إمامية، وعادت الدولة إسماعيلية كما كانت، وأعيد الحافظ - بعد إطلاق سراحه - إلى منصب الخلافة.

واعتبر هذا اليوم الذى قتل فيه أبو على أحمد وأعيد الحافظ - إلى الحكم يوم عيد قومى، لا للحافظ نفسه بمناسبة إطلاق سراحه وإعادته للحكم، بل للدولة كلها وللمذهب الإسماعيلى وأتباعه، فقد كان المذهب على وشك أن يقضى عليه، ولهذا اعتبر هذا اليوم عيدًا للإسماعيلية، وسمى «عيد النصر»، وضم إلى قائمة الأعياد الرسمية، وظلت الدولة تحتفل به سنويًا فى عهد الحافظ، وفى عهود من أتى بعده من الخلفاء، إلى أن دالت الدولة وزالت.

ورغم تولى الحافظ الحكم فقد كانت المشكلة الشرعية المذهبية لا تزال قائمة. فالمذهب الإسماعيلى - كما أسلفنا - لا يبيح أن يتولى الخلافة من ليس ابنا للخليفة السابق، والحافظ ليس ابنا للآمر، بل هو ابن عمه، والطفل الذى ولد للآمر بعد مقتله والذى أخفته أمه كان لا يزال موجودًا، ويبدو أن الحافظ كان يعلم بوجوده، فلا يصح إذن أن يتولى الخلافة مع وجود الطفل، ولهذا لم يجرؤ رجال الدولة وشيوخ المذهب على تعيين الحافظ خليفة، بل أعادوه - كما كان - وليًا للعهد وكفيلاً للطفل المختفى، يقول المقريزى: «فاجتمع الناس، وأخذ له العهد على أنه ولى عهد كفيل لمن لم يذكر اسمه»[1].

ويؤكد هذه الحقيقة التاريخية وجود عملة ضربت فى الإسكندرية فى سنة ٥٢٦ هـ (ومن المؤكد تبعا للحوادث التاريخية أنها ضربت فى المدة بين المحرم وربيع الأول من هذه السنة) تحمل اسم عبد المجيد ولقبه كولى للعهد، ونص ما عليها: (أبو الميمون عبد المجيد ولى عهد المسلمين)[2].

ويبدو أيضًا أن الحافظ ظل منذ تلك اللحظة يعمل جاهدًا للبحث عن هذا الطفل ليتخلص منه نهائيًا، ولتخلص له الخلافة من كل شائبة، ولم يطل بالحافظ الوقت، فقد عثر على الطفل بعد نحو شهرين، وحسم الأمر بقتله، ورأى أن يعلن على الملأ توليه الخلافة، فإن المقريزى يقول فى حوادث سنة ٥٢٦ هـ:

«وفيها استقرت حال الحافظ لدين الله، وبويع له بيعة ثانية لما عدم الحمل»[3].

---

(١) المقريزى: مخطوطة اتعاظ الحنفا، ص ١٣٤ أ.

(٢) الشيال. مجموعة الوثائق الفاطمية، ص ٩٨ - ٩٩.

(٣) المقريزى: مخطوطة اتعاظ الحنفا، ص ١٣٥ أ؛ وابن ميسر. تاريخ مصر، ص ٧٥.

أخيرًا ولى الحافظ الخلافة، وبتوليته حدث انقطاع فى الفرع الفاطمى الأصيل، فقد كان الخلفاء الفاطميون الذين حكموا قبله كلهم من نسل عبيد الله المهدى، وكل خليفة منهم ابنا للخليفة السابق، وسيصبح الحافظ – أصلاً لفرع جديد. ولكن هذا التحول فتت الإسماعيلية تفتيتًا جديدًا، فانقسموا كما أسلفنا – إلى إسماعيلية حافظية وهم أتباع الخلافة الفاطمية الجديدة فى مصر، وإسماعيلية طيبية، وقد انتشروا فى اليمن والهند.

وفى عهد الحافظ حدثت أزمة أخرى كانت معولاً جديدًا ساعد على تحطيم ما بقى للدولة الفاطمية من قوة، فقد أراد الحافظ أن يتخلص من سلطة الوزراء واستبدادهم بشؤون الحكم، كما أراد أن يمهد لاستقرار الحكم فى أسرته، فأصدر فى سنة ٥٢٨ سجلاً بتولية ابنه الأكبر سليمان ولاية العهد وأقامه مقام الوزير.

ولكن سليمان توفى بعد صدور هذا السجل بشهرين، فأصدر الحافظ سجلاً آخر بتولية ابنه الثانى حيدرة ولاية العهد، فشق ذلك على أخيه حسن، فقد كان أكبر أولاد الحافظ سنا بعد وفاة سليمان، وقام حسن بثورة حربية خطيرة، وانقسم الجيش الفاطمى نتيجة لهذه الفتنة على نفسه، وكانت هذه الواقعة – كما يقول المقريزى – «أول مصيبة نزلت بالدولة من فقد رجالها ونقص عدد عساكرها..».

وحاول الحافظ محاولات كثيرة لإخماد هذه الثورة واسترضاء ابنه حسن، ولم يجد بدًا «من مداراة حسن، وتلافى أمره عساه ينصلح، وكتب سجلاً بتوليته العهد، وأرسله إليه. فقرىء على الناس، فما زاده ذلك إلا جرأة عليه، وإفسادًا له».

ولم تخمد هذه الفتنة إلا بعد أن قتل حسن، ولكنها كانت عاملاً جديدًا من عوامل إضعاف الدولة بعد انقسام الجيش على نفسه وقتل عدد كبير من كبار قواده.

ولم تنشب الصعوبات فى هذا العصر الثانى فى الداخل وحسب بل نشبت فيه صعوبات أخرى فى الخارج، أخذت تؤثر فى كيان الدولة وتعمل على فصل أطرافها طرفًا طرفًا، وقد أشرنا من قبل إلى انفصال شمال أفريقيا كله، ثم انقطاع الخطبة الفاطمية فى الحجاز لفترة ما، ثم انفصال جزيرة صقلية.

وقد استمرت حركة الانفصال فى طريقها، ففى عهد المستعلى بدأ عدوانان خطيران يهددان أملاك الدولة فى الشام. فاستولى الأتراك السلاجقة على دمشق والأجزاء الداخلية من الشام، وقطعوا الخطبة للمستعلى وخطبوا للخليفة العباسى.

وفى عهده أيضًا، فى سنة ٤٩٠ هـ، تحركت الحملة الصليبية الأولى من القسطنطينية لأخذ سواحل الشام فملكوا أنطاكية، وفى سنة ٤٩٢ هـ ملكوا بقية الساحل وبيت المقدس، ولم يبق بأيدى الفاطميين غير مدينة عسقلان.

وفى عهد الآمر استولى الفرنج على عدد آخر من مدن الشام وخاصة طرابلس وبانياس وصور. وفى عهد الحافظ قطع الصليحيون الخطبة له فى اليمن، وخطبوا للطيب. وهكذا تجمعت عوامل الضعف لتعمل مجتمعة على إنهاء الدولة، وأصبح وزراء الدولة هم أصحاب السلطان الفعلى، بل أصبحوا هم الذين يختارون الخلفاء.

ومن الشواهد القوية على عظم هذا النفوذ إن الصالح طلائع بن رزيك عمد إلى اختيار طفل صغير ليلى الخلافة بعد موت الفائز، وهو الذى سمى فيما بعد باسم «العاضد لدين الله»، واجتمع الناس للاحتفال بتوليه وأحدثوا ضجة كبرى، فسأل طلائع عن مصدر هذه الضجة فقيل له إن الناس يفرحون بالخليفة، فقال: «كأنى بهؤلاء الجهلة يقولون: ما مات الأول حتى استخلف هذا، وما علموا أننى كنت من ساعة استعرضهم استعراض الغنم»[1].

---

(١) المقريزى: مخطوطة اتعاظ الحنفا، ص ١٥ ب.

وانظر أيضا الشيال: مجموعة للوثائق الفاطمية، ص ١٢٠ – ١٢٣.

الفصل الخامس

نهاية الدولة الفاطمية

وقيام دولة صلاح الدين

كان أهم الأسباب التى أدت إلى ضعف الدولة - كما أسلفنا - هو استبداد الوزراء بشؤون الحكم، لهذا أصبح منصب الوزارة محط أنظار قواد الجيش وكبار رجال الدولة، فقامت بين بعضهم والبعض الآخر منافسات دامية فى سبيل الوصول إلى هذا المنصب، وكان النزاع الذى قام بين شاور - وزير العاضد آخر خلفاء الفاطميين - وضرغام - صاحب الباب - هو آخر حلقة من حلقات هذه المنافسة، وقد انتهى الصراع بين الرجلين بانتصار ضرغام وتوليه الوزارة، وفرار شاور إلى الشام.

وكانت الشام قد انسلخت من ملك الفاطميين واقتسمت ملكها قوتان: قوة نور الدين محمود ابن زنكى فى الداخل، وقوة الصليبيين فى الساحل وفى فلسطين.

وقد لجأ شاور إلى القوة الإسلامية، إلى نور الدين، وسأله أن يرسل معه جيشاً إلى مصر ليساعده فى نضاله مع خصمه ضرغام، وفى إعادته إلى منصب الوزارة، وعرض أن يدفع له - مقابل هذه المساعدة - ثلث إيرادات مصر، وأن يدين له بالولاء إن عادت إليه مقاليد الحكم والوزارة.

ورحب نور الدين بشاور واستضافة، وتردد أول الأمر فى إجابته إلى مطلبه، ولكنه لم يلبث أن وافق، ففى هذه الموافقة تحقيق لخطته التى كان يهدف من ورائها إلى توحيد الجبهة الإسلامية توطئة لمقاومة الخطر الصليبى والقضاء عليه.

وأرسل نور الدين مع شاور جيشًا بقيادة أسد الدين شيركوه، وصحب أسد الدين معه ابن أخيه يوسف صلاح الدين، وعلم ضرغام بخروج هذا الجيش وقرب وصوله إلى مصر، فأصابه الفزع، إذ لم يكن الجيش الفاطمى فى حالة تمكنه من المقاومة أو إحراز النصر، وأرسل ضرغام يستنجد بالقوة الثانية فى الشام، بالصليبيين.

ووصل أسد الدين شيركوه إلى مصر - وفى معيته شاور -، وانتصر على جيش ضرغام. وتفرق عن ضرغام قواده وأعوانه، ثم قبض عليه وقتل، وأعيد شاور - نتيجة لهذا النصر - إلى دست الوزارة.

غير أن شاور كان من خلقه الغدر والخيانة، فلم يلبث أن حنث بوعده، ورفض أن يدفع لشيركوه المبلغ المتفق عليه، بل طلب إليه الانسحاب بجيشه والعودة إلى الشام، وآلم شيركوه

مسلك شاور، وأبى أن يستمع له، وعسكر بجيشه عند مدينة بلبيس، وتحصن بأسوارها، وهنا فعل شاور ما فعله ضرغام من قبل، فلجأ إلى عموري Amairic ملك بيت المقدس الصليبي، وأرسل يستنجد به. ورحب عموري بالدعوة وأسرع بالخروج بجيشه ، لأنه كان يخشى أن يملك نور الدين مصر فتصبح قوى الصليبيين وأملاكهم في الشام محاصرة بقوى نور الدين من الشمال والجنوب.

اتجه عموري بجيشه في سنة ٥٥٩هـ (١١٦٤م) نحو مصر ، وحاصر أسد الدين في بلبيس شهورًا ثلاثة، وأحس نور الدين بما يهدد جيشه في مصر من خطر، فبدأ يضغط على أملاك الصليبيين في الشام، وهاجم بانياس، مما جعل عموري يفكر جديا في الانسحاب، واتفق أخيرًا مع شيركوه على أن ينسحبا معًا وفي وقت واحد من مصر.

خرجت القوتان من مصر ولكن لتعودا إليها ثانية وثالثة، وكل منهما كانت تحاول في كل مرة من المرات الثلاث أن تستولي على مصر للقضاء على القوة الأخرى، ولكن النصر كتب أخيرًا وفي الحملة الثالثة، لقوى نور الدين بقيادة أسد الدين شيركوه.

وقتل شاور لغدره وخيانته واستعانته بالصليبيين المرة بعد الأخرى، ولم يجد العاضد من بين رجاله من يصلح للوزارة، فاختار أسد الدين ليكون وزيره، غير أن أسد الدين لم يعمر في الوزارة غير شهرين ثم مات، فاختار العاضد ابن أخيه صلاح الدين وزيرًا.

كان موقف صلاح الدين منذ ولي الوزارة موقفًا غريبًا، فهو وزير لصاحب مصر الخليفة العاضد الفاطمي الشيعي، وهو في الوقت نفسه قائد الجيش نور الدين صاحب الشام السني، فهو موزع الولاء، ومع هذا كان يتبع في سياسته إزاء الرجلين الحكمة والتؤدة.

غير أن نور الدين كان يود أن يبادر صلاح الدين بالقضاء على الدولة الفاطمية، وقطع الخطبة لآخر خلفائها العاضد، ثم إقامة الخطبة للخليفة العباسي، وكان نور الدين مدفوعًا في هذا بسنيته، وكرهه للشيعة، وبرغبته في إجابة الخليفة العباسي إلى طلبه، فقد كان دائم الإلحاح عليه أن يقيم له الخطبة في مصر، ولكن صلاح الدين كان أعرف من نور الدين بأحوال مصر.

ولهذا آثر التمهل، وأن يمهد الطريق قبل أن يضرب ضربته الأخيرة، فقد كان رجال القصر والدولة الفاطمية غاضبين، ويودون لو استطاعوا أن يقضوا على صلاح الدين ومن معه، ليستعيدوا نفوذهم وسلطانهم المسلوب، وكان صلاح الدين يخشى إن هو أسرع بقطع الخطبة والقضاء على الدولة أن ينجح هؤلاء في الثورة عليه، يقول ابن واصل في كتابه «مفرج الكروب في أخبار بني أيوب»: «كان العادل نور الدين لما تحقق ضعف الدولة المصرية، وأنه لم يبق

لهم منعة، كتب إلى صلاح الدين يأمره أن يقطع خطبة العاضد، ويخطب للخليفة من بني العباس، فاعتذر صلاح الدين بن أيوب بالخوف من وثوب أهل مصر وامتناعهم من الإجابة لذلك لميلهم إلى العلوية» فلم يصغ نور الدين إلى قوله، وأرسل إليه يلزمه إلزامًا لا فسحة فيه..» [1].

وبدأ صلاح الدين بالخطوات التمهيدية لتقليم أظافر الخليفة العاضد وقواد جيشه ورجال قصره، فأبعد هؤلاء القواد عن القاهرة، واستولى على إقطاعاتهم ومنحها لقواده هو ، ليضمن ولاءهم وإخلاصهم، ثم أرسل إلى نور الدين يستأذنه في أن يرسل إليه أباه نجم الدين أيوب وأهله، فأرسلهم إليه، وكان نجم الدين أيوب بعد وصوله خير عضد ونصيح لابنه صلاح الدين، فقد كان الرجل ذا دهاء ومكر وخبرة طويلة.

وبدأ صلاح الدين كذلك بتعميم حركة إنشاء المدارس في مصر، وقد كان الهدف من حركة إنشاء المدارس منذ بدأها السلاجقة وتبعهم فيها الأتابكة هو محاربة المذهب الشيعي، والدعوة للمذهب السني وتدريسه، وقد كانت أول مدرسة أنشأها صلاح الدين في مصر هي المدرسة الناصرية التي أنشئت في الفسطاط لتدريس المذهب الشافعي، ثم أنشأ مدرسة أخرى لتدريس المذهب المالكي، ثم تبعه أفراد أسرته ورجال دولته، فأنشأوا مدارس أخرى كثيرة في مختلف المدن المصرية.

وخطا صلاح الدين خطوة أخرى ، فعين صدر الدين عبد الملك بن درباس الشافعي قاضيًا للقضاة، فجعل القضاة في سائر الديار المصرية شافعية، يقول ابن واصل معقبًا على حركة إنشاء المدارس، وعلى حركة تحويل القضاة من المذهب الشيعي الإسماعيلي إلى المذهب الشافعي: «فاشتهر مذهب الشافعية، واندرس مذهب الإسماعيلية بالكلية، وانمحى أثره. ولم يبق أحد من أهل البلاد يمكنه التظاهر به».

وليس أبلغ من هذا القول للدلالة على قيمة هذه الخطوات التي كان يخطوها صلاح الدين في حرص وحذر للتمهيد لتحقيق رغبة الخليفة العباسي ونر الدين بقطع الخطبة للعاضد.

ولما تم له ذلك كله، جمع أمراء جيشه ليستشيرهم في أمر قطع الخطبة فترددوا كثيرًا، وأخيرًا تقدم فقيه يدعى الأمير العالم وتطوع أن يبدأ هو بتنفيذ هذه الفكرة.. وفي يوم الجمعة الأول من المحرم سنة ٥٦٧هـ خطب هذا الرجل، ولم يدع للخليفة العاضد، وإنما دعا للخليفة

---

(١) ابن واصل: مفرج الكروب، نشر الشيال، ج١

العباسى المستضىء بنـور الله، فلـم ينكـر ذلـك أحـد عليـه، فلمـا كـانت الجمعـة التاليـة، أمـر صلاح الدين بتعميم الخطبة للخليفـة العباسـى فـى مسـاجد الفسـطاط والقـاهرة جميعًـا، وبذلـك انتهى آخر خيط فى حياة الدولة الفاطمية.

أما الخليفة العاضد فيقال إنه كان مريضًا، فلما سمع بهذا النبأ اشتد به المرض، وتوفـى فـى يوم عاشوراء، أى فى اليوم العاشر من المحرم من هذه السـنة، وهكـذا انتـهت الدولـة الفاطميـة بعد أن حكمت مصر قرابة قرنين من الزمان، كانت مصر فى خلالهما إمبراطورية مستقلة واسعة مترامية الأطراف ذات حضارة مجيدة مزدهرة.

البـــاب الثالث

العلاقات بين مصر واليمن

فى العصر الفاطمى

العلاقات بين مصر واليمن
فى العصر الفاطمى

قامت فى مصر كما قامت فى اليمن - منذ أقدم العصور - حضارات ومدنيات عظيمة سجلت لكل من البلدين ذكرًا ومجدًا فى التاريخ، وقد نشأت بينهما علاقات كبيرة مختلفة، بعضها تجارى اقتصادى، وبعضها سياسى تاريخى. ولقد كان البحر الأحمر منذ عهد الفراعنة طريق اتصال بين مصر وبلاد «بنت» لحاجة شعب مصر وحكامها إلى منتجات هذه البلاد، وخاصة المر واللبان وأصناف البخور والعطور والصموغ، إذ لم يكن لهم غنى عنها لضرورة استعمالها فى معابدهم وهياكلهم الدينية. وقد زاد الاهتمام بتجارة مصر مع بلدان الشرق فى عهد رمسيس الثانى الذى أنشأ أسطولاً تجاريًا كبيرًا كانت سفنه تجوب البحر الأبيض إلى شواطئ سوريا ، والبحر الأحمر إلى الصومال وجنوبى بلاد العرب. ولما ولى البطالمة عرش مصر جعلوا همهم الأول أن يشيدوا فى مصر دولة مستقلة غنية، لهذا سعوا للسيطرة على طرق التجارة المؤدية إلى الشرق، ومنها طريق البحر الأحمر، فانتعشت التجارة فى أيامهم، ولكنها ضعفت وأضمحلت فى أواخر عهدهم بسبب الثورات والفتن التى سادت البلاد وأدت أخيرًا إلى انتقال الحكم إلى أيدى الرومان.

وفى عهد الرومان أرسل أغسطس حملة لإخضاع قبائل اليمن العربية. وذلك لتحويلها التجارة عن طريق مصر إلى الطريق البرية الأخرى، فخرب الأسطول عدن، وعادت لمصر سيطرتها على تجارة الشرق. كذلك نهج البيزنطيون هذا النهج، فاهتموا اهتمامًا شديدًا بتجارة الهند عن طريق مصر، فكانوا يعينون موظفًا خاصًا يرتحل سنويا لجلب متاجر الهند عن طريق البحر الأحمر، وكان يساعد فى نقلها تجار من الهنود والعرب والمصريين. وفى عهد عمر بن الخطاب فتح العرب مصر، فاشتد وثاق الروابط بين مصر وبلاد العرب عامة، فقد أصبحت أرض الفراعين إحدى ولايات الخلافة الإسلامية.

يتضح من هذه الإشارات العابرة أن العلاقات الاقتصادية والسياسية بين مصر واليمن كانت علاقات ذات أهمية فى تاريخ البلدين جميعا منذ القدم ويزيد فى وضوح هذه العلاقة دراسة اتجاهات الطرق التجارية فى كل منهما، فكثير من الطرق البرية الداخلية فى مصر ممتد بين المدن النيلية وشواطئ البحر الأحمر، كما أن الطرق البحرية فى هذا البحر تتجه فى معظمها نحو ثغور بلاد العرب الغربية والجنوبية كذلك كانت الطرق البرية الرئيسية فى شبه جزيرة

العرب تصل بين أقصى الجنوب وأقصى الشمال، ثم تتجه بعد ذلك شمالا إلى الشام أو تنحرف غربا مخترقة شبه جزيرة سيناء إلى مصر.

وأهم هذه الطرق البرية بوادى النيل كان يبدأ عند «عيذاب»، ويخترق وادى الحمامات حتى يصل إلى قفط. ويلى هذا الطريق فى الأهمية طريق آخر كان يبدأ قرب منف - العاصمة القديمة - ويجتاز وادى الطميلات حتى يصل إلى مدينة القلزم، وهى تبعد قليلاً عن السويس الحالية، فكانت تجارة الشرق الوافدة من اليمن تصل إلى أحد هذين الميناءين ، ثم تحمل منهما عبر هذين الواديين إلى ضفة النيل الشرقية، ومن هناك تحملها السفن النيلية إلى موانى، مصر الشمالية: دمياط، ورشيد، والاسكندرية، وكان هناك طريق برى ثالث تصعد التجارة عبره من الفرما إلى القلزم التى يصفها المقريزى بأنها كانت «فرضة مصر والشام، ومنها تحمل الحمولات إلى الحجاز واليمن».

هذه هى الطرق التى كانت تنقل بوساطتها التجارة الوافدة من الشرق والصادرة إليه قديمًا. فلما كان الفتح العربى أعيد فتح الترعة القديمة سنة ٢٣هـ (٦٤٣م) التى كانت بدايتها شمال مصر القديمة بقليل ونهايتها إلى ما قبل القلزم بميل، وذلك لنقل الغلال إلى المدينة مقر الخلافة الإسلامية وقتذاك.

وكانت على ضفتى النيل طرق زراعية تسير بمحاذاة النهر تصل بين جنوب مصر وشمالها، ففى العصر الفاطمى مثلاً كان هناك جسر مرتفع من الطين «ليسير عليه الناس، وتصرف خزانة السلطان كل سنة للعامل المعتمد عشرة آلاف دينار مغربى لتجديد عمارته» [1].

هذه هى طرق القطر المصرى الداخلية بين البحر الأحمر والنيل. أما الطريق عبر البحر إلى اليمن فقد كان محفوفًا بالأخطار، تعترضه الصعاب المناخية والشعاب الصخرية، ومع هذا كانت تجتازه السفن إلى موانئ اليمن الشهيرة التى تقع على شواطئ بلاد العرب الغربية والجنوبية. وقد كانت موانئ الشاطئ الغربى فى تغير مستمر لتوال ارتفاع هذا الشاطئ وانحسار مياه البحر عنها، فالرمال ما برحت تطمر مرافئه وتمنع السفن الكبيرة من الوقوف إلا على بعد شاسع. حدث هذا الطمر قبل أربعة أو خمسة قرون فى مرفأ غلافقة، وقد كانت - كما قال ياقوت فى «معجم البلدان»: «مرسى زبيد»، وكانت زبيد عاصمة تهامة وأكبر مدنها فيها مضى، فلما اندثر غلافقة انحط شأن زبيد. وحدث الطمر أيضًا - إلى حد كبير - فى ميناء مخا، فكان ذلك من أسباب تأخرها وتقدم الحديدة الحديثة العهد.

أما الموانئ الجنوبية فأهمها جميعًا عدن، وهى «بلد جليل عامر آهل حصين خفيف، دهليز الصين، وفرضة اليمن، وخزنة المغرب، ومعدن التجارات، كثير القصور، مبارك على من دخله، مثر لمن سكنه» [2].

---

(١) انظر: ناصر خسرو: «سفر نامه»، ترجمة الدكتور يحيى الخشاب» ص ٤٣.

(٢) المقدسى : (أحسن التقاسيم) ، ص ٨٥.

ويذكر المقدسى ثبتًا دقيقًا لأنواع المتاجر التى كان اليمن يشتهر بها فيقول:

«واليمن معدن العصائب والعقيق، والأدم والرقيق، فإلى عمان تخرج آلات الصيادلة والعطر كله حتى السمك والزعفران والبقم والساج، والساسم والعاج، واللؤلؤ والديباج، والجزع والياقوت والأبنوس، والنارجيل والقندو الاسكندروس، والصبر والحديد والرصاص، والخيزران والغضار، والصندل والبلور والفلفل وغير ذلك، وتزيد عدن بالعنبر والشروب والدرق والحبش والخدم وجاود النمور..» [1].

أما ما كانت تشتهر به مصر، فيقول المسعودى فى «التنبيه والاشراف» (ص ١٩): «ويحمل إليها من جميع الممالك المحيطة بهذين البحرين (بحر الحجاز وبحرالشام) من أنواع المتعة والطرائف والتحف من الطيب والأفاويه والعقاقير والجوهر والرقيق، وغير ذلك من صنوف المآكل والمشارب والملابس، فجميع البلدان تحمل إليها وتفرغ فيها..».

وقد كان لهذا النشاط التجارى بين القطرين - فى العصر الفاطمى خاصة - أثره فى توثيق العلاقات بينهما، فرحل إلى اليمن كثيرون من تجار مصر، واستقر بعضهم فى مدنها، واتخذوها وطنًا ثانيًا، كبنى الخطباء، وهم «تجار من مصر تديروا عدن، وولى بعضهم نظر عدن» [2] فى العصر الفاطمى، وبنوا هناك دارًا شهيرة عرفت باسم «دار السعادة».

كذلك كان لهذه العلاقات التجارية، ولخضوع الأسر الشيعية - التى حكمت اليمن - لسلطان الفاطميين، وإقرارهم بالولاء لخلفاء هذه الدولة المصرية، أثر اقتصادى كبير، فأصبحت العملة المصرية هى المنتشرة والمتداولة فى اليمن.

هذا من الناحية الاقتصادية، أما من الناحية السياسية فقد كانت هناك أيضًا أوجه شبه كثيرة بين تاريخ مصر وتاريخ اليمن منذ ظهور الإسلام إلى قيام الدولة الفاطمية، فقد ظل اليمن فى القرنين الأول والثانى للهجرة أقسامًا ثلاثة يحكم كلا منها وال، فكان هناك وال على الجند ومخاليفها، وآخر على صنعاء ومخاليفها، وثالث على حضرموت ومخاليفها، وفى القرن الثالث تفككت عرى الدولة العباسية، ونشأت فى أطرافها دويلات جديدة تحكمها أسرات مستقلة، كدولة الأدارسة فى المغرب الأقصى، ودولة الاغالبة فى أفريقية (تونس).. إلخ.

وحذا محمد بن زياد - من ولد عبيد الله بن زياد بن أبى سفيان - حذر مؤسسى تلك الدول، وأخذ - منذ سنة ٢٠٤هـ يشيد لنفسه سلطانًا فى اليمن، وبنى مدينة جديدة فى تهامة أسماها زبيد، واتخذها عاصمة لملكه. وظل أعقابه يتداولون حكم اليمن - مع إقرارهم بالولاء

---

(١) «أحسن التقاسيم»، ص ٩٧ و٩٨.

(٢) بامخرمة: «تاريخ ثغر عدن»، ج ١، ص ١٠ و١١.

للدولة العباسية - حتى ولى منهم أبو الجيش إسحق بن إبراهيم سنة ٢٩١هـ - ٣٧١هـ (٩٠٣ - ٩٨١م) وفى عهد ولايته لليمن بلغه قتل الخليفة المتوكل وخلع المستعين، واستبداد القواد الأتراك بالأمر دون الخلفاء «فمنع ارتفاع اليمن، وركب بالمظلة شأن سلاطين العجم المستبدين»[١].

وفى أيامه خرج باليمن الإمام الهادى إلى الحق [٢] يحيى بن الحسين بن القاسم الرسى بن طباطبا، واتخذ صعدة مركزًا لنشر دعوته، وفى عهده أيضًا ظهرت بوادر الدعوة الفاطمية، قام بها على بن الفضل ببلدة عدن لاعة وفى جبال اليمن سنة ٣٤٠هـ؛ كما أخضع سليمان بن طرف جزءًا كبيرًا فيما يجاور الساحل الشمالى لليمن وجعل عاصمته «عثر» يذكر با مخرمة خبر خروج هؤلاء الولاة على أبى الجيش إسحق، ولكنه يذكر أيضًا أن اثنين منهم، وهما أسعد بن أبى يعفر - صاحب صنعاء - وسليمان بن طرف - صاحب «عثر» - «كانا مع فعلهما يخطبان لأبى الجيش، ويضربان السكة على اسمه، لكن لا يحملان له ضريبة ولا ميرة ولا هدية» [٣].

وقد خلف أبو الجيش هذا أطفالاً صغارًا استبد بالأمر دونهم وزراء من الموالى، إلى أن أسس نجاح - وهو مولى مرجان أخر وزير لبنى زياد - أسرة جديدة - وهى أسرة بنى نجاح - فى زبيد سنة ٤١٢هـ (١٠٢١م).

وهناك شبه كبير بين تاريخ اليمن وتاريخ مصر فى تلك الفترة، فقد بقيت مصر والحكم فيها بيد الولاة المعينين من قبل الخلفاء، حتى كان منتصف القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) بعد قيام دولة بنى زياد باليمن بنحو نصف قرن - فاستقل بحكم مصر أحمد بن طولون، ثم الإخشيديون، إلى أن ضعف شأنهم، ففتحها الفاطميون وجعلوها مركز دولتهم الواسعة.

ولم تكن بين مصر واليمن فى عهد هذه الدويلات غير العلاقات التجارية السابق ذكرها، ولكن الأمر تغير فى عهد الفاطميين، فدانت بالولاء لمصر، وقامت بالقطرين دول شيعية بينها كثير من التشابه، وتبودلت الرسل والسفارات والهدايا بين البلدين، وبقيت العلاقات السياسية بين حكام مصر واليمن وثيقة قوية، واستمرت الدعوة الشيعية العبيدية فيها حتى ظهرت دولة صلاح الدين وكانت دولة سنية، فجعلت همها الأول القضاء على المذهب الشيعى والقائمين بأمره والحاكمين باسمه فى البلدين جميعًا.

وقد بدأت الدعوة الفاطمية فى الظهور حوالى منتصف القرن الثالث الهجرى، وكان ذلك فى سليمة - بين حماة وحمص - ومنها أرسل عبيد الله المهدى الدعاة إلى أطراف العالم الإسلامى، وخاصة بلاد الجزيرة وبلاد فارس واليمن.

---

(١) ابن خلدون: العبر، ج ٤، ص ٢١٣.

(٢) انظر أخباره بالتفصيل فى: المرجع السابق، ص ١١١ - ١١٣، الواسعى: فرجة الهموم والحزن، ص٢١-٢٣

(٣) با مخرمة: تاريخ ثغر عدن، ج ٢، ص ١٦ - ١٧، انظر أيضًا عمارة: تاريخ اليمن، ص ٤ - ٦.

وكان أنجح هؤلاء الدعاة أولئك الذين أرسلوا إلى اليمن، وهم على بن الفضل الجدنى اليمانى، وأبو القاسم بن زاذان الكوفى الملقب بالمنصور. وأبو عبد الله الشيعى.

أما على بن الفضل فيمنى كان ينتحل مذهب الاثنى عشرية، وقد خرج من اليمن حاجًا، فأدى الفريضة، وسار إلى الكوفة ليزور قبر الحسين، وهناك تقابل مع عبيد الله المهدى فاتفقا فى المشارب والغايات، وقال ابن الفضل لصاحبه: «إن الفرصة ممكنة باليمن، وإن الذى تدعو إليه جائز هناك». فقال عبيد الله: «أنا موجهك والمنصور الحسن بن زاذان» [1].

وعاد المنصور وعلى بن الفضل إلى اليمن، فذهب أولهما إلى الجند، ووصل الثانى إلى عدن لاعة، وأخضع الجهات الجبلية المجاورة، وحارب أسعد بن يعفر وأغتصب منه صنعاء حينًا إلى أن استردها منه. فلما قوى شأنه «استعمل الطبول والرايات وأظهر مذهبه»، [2] ودعا إلى عبيد الله المهدى. وكان ذلك فى السنوات العشرة الأخيرة من القرن الثالث الهجرى.

ولم ينس المنصور أيضًا زعيمه - عبيد الله - فأرسل إليه خبر هذه الفتوح، وأرسل مع الخبر الهدايا قال ابن مالك الحمادى اليمنى: «وقد كان المنصور كتب قبل أن يختلف هو وعلى بن الفضل إلى ميمون (يقصد عبيد الله) وولده يخبره بما فتح من البلاد، ووجه إليهما بهدايا وطرف من طرف اليمن، وكان ذلك فى سنة تسعين ومائتين، فلما وصلت هديته، سرهما ذلك، وقال (أى عبيد الله) لولده: «هذه دولتك قد أقبلت» [3].

وقد اختلف على بن الفضل - بعد أن قوى شأنه وملك صنعاء - وزميله المنصور بن زاذان، وكان يملك قلعة شبام، وخلع ابن الفضل عبيد الله المهدى، بعد أن دعا إليه، فكتب إليه المنصور يعاتبه، واشتمد النزاع بين الرجلين واستمر إلى أن مات المنصور سنة ٣٠٢هـ (٩١٤م)، ثم مات من بعده على بن الفضل مسمومًا فى سنة ٣٠٣هـ بعد أن حكم سبع عشرة سنة، ملك فيها معظم إقليم الجند، وكان يقيم بمذ بخرة. فلما مات هاجم أسعد ابن يعفر هذه المدينة وهدمها، وقتل من بها من القرامطة، واسترد صنعاء.

وأراد أن يستعد للمستقبل فلا يتيح لأتباع ابن الفضل القيام بهذه الدعوة من جديد. فعقد حلفًا بينه وبين القائمين بالأمر فى قسمى اليمن الآخرين، وهما: الأمير إبراهيم بن زياد فى زبيد، والإمام الهادى الناصر أحمد بن يحيى فى صعدة، «وتعاقدوا على المعاضدة والمناصرة، وقتل القرامطة حيث ما وجدوا.. ولم يبق من القرامطة إلا شرذمة قليلة من أولاد المنصور فى ناحية مسور» [4].

---

(١) ابن مالك الحمادى اليمنى: «كشف أسرار الباطنية»، ص ٢٢

(٢) المرجع السابق ص ٢٦

(٣) المرجع السابق، ص ٢٧ ٢٨.

(٤) المرجع السابق: ص ٣٨ ٣٩.

انظر أيضا: البهاء الجندى «اخبار القرامطة» (ضمن «تاريخ اليمن» لعمارة)، ص ١٥٠.

أما المنصور فكان أوفى بالعهد من على بن الفضل، فأوصى أن يخلفه - بعد موته - ابنه أبو الحسن المنصور، ورجل آخر يدعى عبد الله بن عباس الشاورى، وقال لهما: «قد أوصيتكما بمبدأ الأمر فاحفظاه، ولا تقطعا دعوة بنى عبيد.. فنحن غرس من غرسهم، ولولا ناموسهم، وما دعونا به إليهم ما صار إلينا من الملك ما قد نلناه، ولا تم لنا فى الرياسة حال، فعليكما بمكاتبة القائم منهم، واستيراد الأمر منهم، فأوصيكما بطاعة المهدى - يعنى عبيد الله - حتى يرد أمره بولاية أحدكما، ويكون كل منكما عونًا لصاحبه..».

وقد اتصل كل من الرجلين - على حدة - بعبيد الله المهدى يطلب الأمر لنفسه، فولى المهدى ابن عباس، لسابق معرفته به عندما خرج مع أبى عبد الله الشيعى يقيم وإياه الدعوة بالمغرب، فتألم أولاد المنصور وظلوا يدبرون المكيدة لابن عباس، حتى وثب عليه أبو الحسن بن المنصور، وقتله وولى الأمر من بعده. «ورجع إلى مذهب الإسلام، وجمع العشائر من بلده، وأشهر لأنه رجع عما كان عليه أبوه فأحبه الناس.»، واقتفى آثار أتباع أبيه وأنصار مذهبه يقتلهم ويفتك بهم، فلم يبق منهم إلا نفر قليل يكتمون أمرهم، ويقيم ناموسهم رجل منهم دائم الاتصال بخلفاء الفاطميين، فكان كما يقول ابن مالك: «لا يقطع مكاتبة بنى عبيد».

وظل الأمر على ذلك إلى أن ولى المعز، فكان زعيم هؤلاء القرامطة باليمن رجل يقال له «ابن رحيم»، سار على نهج سلفه من الدعاة، فكانت المعز بعد خروجه إلى مصر، ولم يزل يكاتب خلفاءه من الفاطميين وينهى إليهم أخبار أهل اليمن حتى مات. وخلف ابن رحيم داع آخر يسمى «يوسف بن الأمشح» من أهل شبام خمير، فظل يدعو فى السر للخليفة الحاكم وبعد موته خلفه عامر بن عبد الله الزواحى، وكان ثريًا وفير المال فاستمال الرعاع والفقراء إلى مذهبه، وجهر بالدعوة والمبايعة للحاكم ثم للمستنصر من بعده.

وكان كل داعية من هؤلاء يمهد السبيل لداعية آخر يخلفه إذا مات، وهكذا فعل الزواحى، فإنه اتصل بقاضى سنى المذهب ذى رياسة وسؤدد، اسمه محمد بن على الصليحى، وأكثر من زيارته، وكان فى تردده عليه يتصل بابنه على وهو صبى يافع البلوغ، ويخلو به، ويلقنه مبادئ الدعوة، ويوهمه أنه يرى فى كتبه التى بين يديه أنه ذو مستقبل باهر، وأنه سيكون له شأن ودولة وحكم.

وقبيل موته أوصى له بكتبه وبمال كثير كان قد جمعه من أهل مذهبه ومنذ ذلك الحين بدأ على بن محمد الصليحى يدعو للمذهب سرًا، ويمهد الأمر لنفسه، فتبعه نفر غير قليل.

وفى سنة ٤٢٩هـ ثار الصليحى فى رأس مسار، وفى سنة ٤٥٢هـ استولى على تهامة بعد أن أهدى نجاحا والى زبيد جارية جميلة قتلته بالسم. وفى السنة التالية أرسل سفارة - من خاله

أحمد بن المظفر، ومعه أحمد بن منصور الصليحى - والد السيدة الصليحية الآتى ذكرها - إلى الخليفة المستنصر بالله يستأذنه فى إظهار الدعوة.

وكان السفراء يحملون معهم الهدايا الثمينة إلى الخليفة الفاطمى، فعاد إليه الجواب بالإذن، وأرسل إليه المستنصر رايات وألقابًا وعقد له الولاية «فطوى البلاد طيا، وفتح الحصون والتهائم. ولم تخرج سنة خمس وخمسين وبقى عليه من اليمن سهل ولا وعر ولا بر ولا بحر إلا فتحه» [1].

وفى سنة ٤٥٥هـ استولى على بن محمد الصليحى على مكة أيضًا، وبذلك بلغ الذروة من القوة، فخضع له اليمن نجدًا وتهامة، كما خضعت له مكة، كذلك افتتح مدينة عدن فوجد بنى معن يحكمونها فأبقاها فى أيديهم مع خضوعهم له، وقد حكم من بعده ابنه المكرم أحمد فنقل العاصمة من صنعاء إلى ذى جبلة فى مخلاف جعفر، وخرج بنو معن - حكام عدن - عن طاعته، فسار إليها وافتتحها ثانية، وأزال بنى معن، وولاها العباس ومسعودا ابنى المكرم الهمدانى الزريعى.

ثم خلف من بعدهما أولاد العباس هذا، وكونوا الأسرة الزريعية التى ظلت تحكم عدن ثلاثًا وتسعين سنة (٤٧٦هـ - ٥٦٩هـ) وهى أسرة شيعية أيضًا، كان أمراؤها - كما يروى بامخرمة - «يؤدون الخراج إلى الخلفاء الفاطميين وهو لأجل المذهب».

وقد تزوج المكرم بن على من الحرة الملكة السيدة بنت أحمد، وكانت ذات عقل راجح وتفكير سليم، فعاونته معاونة جدية فى إدارة ملكه، وقد بقيت تقيم فى مقر حكمه - ذى جبلة - وخلفته أيضًا فى الدعوة - اتباعًا لوصيته - بالاشتراك مع المنصور سبأ بن أحمد بن المظفر بن على الصليحى الذى اتخذ «أشيح» مقرًا له وقد حدث نزاع بينه وبين السيدة الحرة، موضوعه رغبته فى الزواج منها ورفضها هذا الزواج. وألح هو فى طلبه، وألحت هى فى رفضها، وأخيرًا لجأ المنصور سبأ إلى الخليفة المستنصر يستنجد به، فأرسل الخليفة إلى اليمن رسولين وأستاذًا، مازالوا بها حتى أقنعوها فقبلت، غير أنه كان زواجًا فاشلاً لم يعمر أكثر من ليلة واحدة[2].

---

(١) عمارة «تاريخ اليمن» ص ١٤ و١٨، وانظر أيضًا: ابن مالك، الرجع السابق، ص ٤٣، وبامخرمة، الرجع السابق، ج ٢، ص ١٥ و١٦١. وهناك خلاف واضح بين المؤرخين عند تحديد السنة التى دعا فيها الصليحى للخليفة المستنصر باليمن: فالمقريزى فى «الخطط»، ج ٢، ص ١٧٠، يذكر أن الدعوة بدأت سنة ٤٤٢هـ، وأبو المحاسن فى «النجوم الزاهرة»، ج ٥، ص ٥٨، يقرر أنها كانت سنة ٤٤٧هـ؛ أما عمارة فيذكر أن الصليحى كتب للمستنصر يستأذنه فى نشر الدعوة سنة ٤٥٣هـ، ويؤيده فى هذا بامخرمة: «تاريخ ثغر عدن» ج ٢، ص ١٦١ و «دائرة المعارف الإسلامية» مادة: «على الصليحى».

(٢) أنظر تفاصيل هذا الزواج، وأخبار السفارة المستنصرية، وأسماء هؤلاء السفراء، ووصف مجلس السيدة الحرة لمقابلة الرسول، وكيف فشل هذا الزواج فى: «تاريخ اليمن» لعمارة، ص ٣٤ - ٣٧.

وانظر أيضًا: العرشى، «بلوغ المرام»، ص ٢٧.

ويبدو أن الدعوة الفاطمية كان لها دعاة فى اليمن كدعاتها فى القاهرة، وأن هؤلاء الدعاة يتلقون الدعوة الواحد عن الآخر منذ عهد على بن الفضل والمنصور بن زاذان إلى عهد الصليحيين ومن تلاهم. وكان كل داع يحافظ على حسن العلاقة بينه وبين القائم بالأمر من الفاطميين، ويحرص على أن تأتيه الموافقة الرسمية على تعيينه داعيا أو تثبيته واليا. ولكن العلاقات بين مصر واليمن تطورت تطورًا جديدًا فى عهد الخليفة الآمر بأحكام الله، إذ نراه يرسل من لدنه فى سنة ٥١٣ هـ (١١١٩م) داعيًا مصريًا - هو أبو الحسن على بن إبراهيم بن نجيب الدولة المصرى - ليقوم بالدعوة، وليشرف على شؤون القائمين بأمر الدولة الصليحية فى اليمن: الملكة الحرة سيدة بنت أحمد الصليحى.

كان ابن نجيب الدولة يلقب بموفق الدين، ومن نعوته: الأمير المنتخب عز الخلافة الفاطمية، فخر الدولة، داعى أمير المؤمنين. ويتفق عمارة وبامخرمة على وصفه بالشهامة والنبل والعقل وحسن التدبير، وأنه كان كثير المحفوظات مستبصرًا فى مذهب الشيعة، قيمًا بتلاوة القرآن على عدة روايات، وكان فى ابتداء أمره على خزانة الكتب الأفضلية.

ولم تبين المراجع الغرض الذى أرسل من أجله ابن نجيب الدولة إلى اليمن ولكن القارئ يستطيع أن يستشف من بين السطور أن الأمور لم تستقم للسيدة الحرة فى منطقة نفوذها، وقد تكون أرسلت إلى الآمر تستعين به فأنجدها بهذا الرسول الداعى، بدليل ما تذكره المراجع من أنها أحسنت استقباله ووثقت به، وعهدت إليه بأمور الحكم يصرفها. فكان منها بمثابة الوزير «فغزا أهل الأطراف، واستخدام ٤٠٠ فارس من همدان وغيرهم، فاشتد بهم جانبه، وقويت شوكته، وأمنت البلاد، ورخصت الأسعار»، وبدليل قول عمارة تعليقا على مجهود ابن نجيب الدولة فى إخضاع الأطراف وتهدئة الحال، «وقبض يده على أموال الناس، وعدل فيهم. وأقام الحدود، وعز به جانب الحرة الملكة، وانقمع أهل اليمن عن مطمع فى أطراف بلادها».

وبعد سنتين من وصول ابن نجيب الدولة إلى اليمن، أى فى سنة ٥١٥ هـ (١١٢١م). مات الأفضل شاهنشاه وزير الخليفة الآمر، وخلفه المأمون البطائحى، فكتب إلى ابن نجيب الدولة يجدد تفويضه. وأعانه ببعثة عسكرية قوامها ٤٠٠ فارس من الأرمن، و ٧٠٠ أسود، فعز بهم جانبه وقوى شأنه. وفى سنة ٥١٨ هـ حاول ابن نجيب الدولة فتح زبيد واغتصابها من المنصور فاتك النجاحى (٥٠٣هـ - ٥١٧ هـ)، ولكنه لم يوفق إلى تحقيق هذه الرغبة.

وبعد قليل وفد على اليمن رسول آخر من قبل الآمر بأحكام الله إلى ابن نجيب الدولة. ويدعى هذا الرسول (الأمير الكذاب)، ولم تذكر المراجع موضوع الرسالة التى كان يحملها هذا الأمير الكذاب، ولا السبب الذى من أجله نعت بالكذاب. ولكن بامخرمة يقول إنه اجتمع بابن نجيب الدولة فى مجلس حافل، ثم أوجز وصف المجلس الذى ضم الرجلين والحديث الذى دار بينهما. فقال: «فلم يحفل به ابن نجيب الدولة، وربما أغلظ له فى القول، وأراد أن يغض

منه فقال له: أنت والى الشرطة فى القاهرة، فقال: أنا الذى ألطم خيار من فيها عشرة آلاف نعمل».

وهذا الكذاب لم يكن بالرجل الهين اللين، فقد بدأ يكيد لابن نجيب الدولة، ومن الطبيعى أن يكون فى ذى جبلة بعض الكارهين للداعية المصرى، وخاصة بعد أن استبد بأمور الحرة الملكة، ويؤيدنا فى هذا الرأى قول بامخرمة: «فالتصق به أعداء ابن نجيب الدولة، وأكثروا بره، وحملوا إليه الهدايا، فضمن لهم هلاكه، وقال: اكتبوا معى أنه دعاكم إلى نزار[1] وأنه راودكم على البيعة له فامتنعتم، واضربوا لى سكة نزارية، وأنا أوصلها إلى الآمر. ففعلوا ذلك، فأوصل الكتب والسكة إلى مصر الى الآمر بأحكام الله».

واتفق عند عودة الأمير الكذاب إلى القاهرة أن الخليفة الآمر كان قد قبض على وزيره المأمون البطائحى، فأوصل الكذاب الخطاب والسكة إلى الخليفة نفسه الذى اعتقد صحة ما بلغه، وأرسل رجلاً من رجال دولته اسمه الموفق بن الخياط، ومعه ابنه سعد الملك ومائة فارس من الحجرية للقبض على ابن نجيب الدولة فى اليمن وإعادته إلى مصر، فلما وصل ابن الخياط إلى ذى جبلة، وطلب إلى الحرة الملكة أن تسلمه ابن نجيب الدولة أبت وامتنعت، فخلا وزراؤها - وكانوا يضمرون الكره للداعية المصرى - وحرضوها على تسليم ابن نجيب الدولة حتى لا تتهم بالنزارية، ومازالوا بها حتى اقتنعت.

ولكنها كانت تعز ابن نجيب الدولة وتخشى أن يغدر به ابن الخياط، فاستوثقت منه بأربعين يمينًا قبل أن تسلمه ابن نجيب الدولة، وأرسلت معه كاتبها محمد بن الأزدى يحمل إلى الآمر هدية جليلة كان من بينها بدنة قيمة الجوهرة التى فيها أربعون ألف دينار، ولكن يبدو أن ابن الخياط ورجاله كانوا يضمرون الكرة الشديد لابن نجيب الدولة، أو أنهم كانوا يحملون الأمر من الخليفة بتعذيبه وقتله، فإنهم لم يكادوا يغادرون ذى جبلة بليلة واحدة حتى «جعلوا فى رجله قيدًا ثقيلاً وشتموه وأهانوه، وبات فى الدهليز عريانًا فى الشتاء، وبادروا إلى عدن وسفروه إلى مصر فى جلبة سواكنية، وأخذوا رسول الملكة الحرة ابن الأزدى بعده بخمسة عشر يومًا، وتقدموا على ربان المركب بأن يغرقه فغرقه.. قال الخزرجى: ولا يعلم ما جرى لابن نجيب الدولة بعد خروجه من اليمن»[2].

كانت العلاقات وثيقة بين الخليفة الآمر والسيدة الحرة، وقد تبودلت الرسائل الكثيرة بينهما، وكان الآمر يثق فى ولاء هذه السيدة وحزمها وإخلاصها فى نشر الدعوة باليمن،

---

(١) عندما مات المستنصر الخليفة الفاطمى لم يشأ وزيره الأفضل أن يلى الخلافة ابنه الأكبر نزار، وإنما ولاها ابنه الأصغر أحمد الملقب بالمستعلى، ففر نزار إلى الإسكندرية، ونادى بنفسه خليفة، فحاربه الأفضل إلى أن قتله.

(٢) بامخرمة، المرجع السابق، ج ٢، ص ١٣٤، ٧١، انظر أيضًا: (تاريخ اليمن)، ص ٤٧ و ٤٨

Kay: op. Cit. p. 266 - 67

فلما ولد له ابنه أبو القاسم الطيب فى ربيع الأول سنة ٥٢٤هـ أوصى له بولاية العهد، وأسرع فكتب رسالة إلى السيدة الحرة يحمل إليها هذه البشرى ويبلغها الوصية له بولاية العهد وبالإقامة من بعده، ويأمرها أن تذيع الخبر فى أطراف ملكها باليمن.

ولكن الخليفة الآمر لم يلبث أن قتل فى أواخر سنة ٥٢٤هـ (ذو القعدة). فأخفى الأمير عبد المجيد بن محمد بن المستنصر خبر الإمام الطيب، وأخذ البيعة من المصريين على أن يكون وليًا للعهد وكفيلاً لحمل منتظر.

وعلمت السيدة الحرة بما فعله الحافظ فلم تقره عليه، وإنما اعتبرت إمامته باطلة، وقد حاول الحافظ كثيرا أن يحصل على موافقتها، وأرسل إليها رسائل متتابعة فى هذا المعنى، ولكنها لم تستمع إليه، فقد سبق أن علمت بمولد الطيب وولايته للعهد، وتعهدت بنشر الدعوة له.

وسعت السيدة الحرة فعلاً وبذلت جهودها لنشر الدعوة الطيبية فى اليمن. بل لقد حاولت أن تنشر هذه الدعوة خارج ملكها، فقد علمت أن أمير مكة هاشم بن فليتة يخطب فى إمارته للخليفة الحافظ، فأرسلت إليه تتوعده إن لم يقلع عن الخطبة لهذا الخليفة. وقد كان لموقفها هذا صدى طيب فى نفوس الفرقة المستعلية فى مصر، فقد كانت هذه الفرقة ترى أن تبقى الإمامة فى نسل المستعلى.

أما الحافظ فإنه عندما يئس من موافقة السيدة الحرة حاول أن يحصل على ولاء الأسرة الشيعية الثانية فى اليمن وهى أسرة بنى زريع حكام عدن. فقلد أمراء هذه الأسرة أمر دعوته، ودان الزريعيون فعلاً بالولاء للحافظ، واعترفوا بإمامته، ونشروا دعوته. وبهذا انقسم الإسماعيلية فى اليمن فرقتين:

- فرقة تؤيد الدعوة الطيبية وتعتقد أن أبا القاسم الطيب هو الخليفة والإمام الحقيقى، ويتزعم هذه الفرقة السيدة الحرة.

- وفرقة تؤيد الحافظ وتعترف بإمامته وتدعو له ويتزعمها آل زريع.

غير أن الفرقة الأولى لم تلبث أن ضعف أمرها بعد وفاة السيدة الحرة فى سنة ٥٣٢هـ، بل لقد ضعف شأن الصليحيين عامة بعد هذه السيدة، ولم تخلفها شخصية قوية، وانتهى الأمر باستيلاء الزريعيين على حصون الصليحيين وقلاعهم.

تسهب المراجع بعض الشىء فى ذكر هذه العلاقات الواضحة بين مصر واليمن فى عهد الآمر سنة ٤٩٥ هـ (١١٠١م ١١٣٠م)، ولكنها تعود إلى الصمت مرة أخرى، فلا تكاد تبين عن شىء من هذه العلاقات، حتى إذا كان عهد العاضد - آخر خلفاء الفاطميين - وجدنا هذه

المراجع تشير إلى أن رسولاً وصل من صاحب الديار المصرية إلى اليمن، واسمه أبو الحسن أحمد بن علىبن إبراهيم بن محمد بن الحسين بن الزبير الغسانى، القاضى الرشيد بن الرشيد، كان أسود البشرة من أسوان. ولكن مراجع هذا العصر لا تذكر أيضًا موضوع الرسالة التى كان يحملها هذا القاضى الأسوانى إلى اليمن، فلعله كان داعية من الدعاة. غير أن بامخرمة يذكر أن القاضى أبا الحسن أراد أن يدعى الخلافة باليمن، ويزيد ياقوت فى «معجم الأدباء» أنه «أنفذ إلى اليمن فى رسالة، ثم قلد قضاءها وأحكامها، ولقب بقاضى قضاة اليمن وداعى دعاة الزمن، ولما استقرت بها داره سمت نفسه إلى رتبة الخلافة، فسعى فيها، وأجابه قوم، وسلم عليه بها»؛ ولكن الأدفوى فى «الطالع السعيد» يقول إنه اطلع فى أسوان على محضر كتبه القاضى ابن الزبير الأسوانى باليمن «فيه خط جماعة كثيرة أنه لم يدع الخلافة، وأنه مواظب على الدعوة للخليفة..».

وكان للقاضى الرشيد أخ اسمه المهذب الحسن بن على، يقول عنه ياقوت فى «معجم الأدباء» إنه مضى أيضًا إلى «اليمن فى رسالة من بعض ملوك مصر واجتهد هناك فى تحصيل كتب النسب»، وقد اتهم كأخيه باتصاله بأسد الدين وصلاح الدين، فسجنه شاور، ولكنه مدح ابنه الكامل حتى أفرج عنه، وقد مات فى ٥٦١هـ.

ولكن هذه المراجع لا تذكر فى عهد من أرسل هذا الداعية القاضى الرشيد بن الزبير إلى اليمن، ولا عن موضوع الرسالة التى كان يحملها هذا القاضى إلى اليمن غير مرجع واحد وهو الأدفوى فقد قال إنه «توجه رسولاً إلى اليمن داعيًا للخليفة الحافظ فى شهر ربيع الأول سنة ٥٣٩هـ»، فإذا صحت رواية الأدفوى وضح الغرض من رسالة ابن الزبير الأسوانى إلى اليمن، فقد أرسل حسب روايته للدعوة للخليفة الحافظ وبالتالى لمحاربة الدعوة الطيبية ولكن سيرة ابن الزبير التى ترجم له فيها ياقوت تجعلنا نتشكك فى هذا التاريخ الذى ذكره الأدفوى موعدًا لرسالته وبالتالى نتشكك فى الغرض من رسالته، فقد ذكر ياقوت المناسبة التى مهدت لابن الزبير الاتصال بالبلاط الخليفى، قال: «كان السبب فى تقدمه فى الدولة المصرية أول أمره.. أنه دخل مصر بعد مقتل الظافر وجلوس الفائز، وعليه أطمار رثة وطيلسان صوف، فحضر المأتم، وقد حضر شعراء الدولة، فأنشدوا مراثيهم على مراتبهم، فقام فى آخرهم وأنشد قصيدته التى أولها.

ما للرياض تميل سكرا هل سقيت بالمزن خمرا

إلى أن قال:

أفكر بلاء بالعـــــــرا ق؟ وكربلاء بمصر أخرى؟!

فذرفت العيون، وعج القصر بالبكاء والعويل، وانثالت عليه العطايا من كل جانب.. وحمل إليه من قبل الوزير جملة من المال».

فهذا النص يحدد تاريخ اتصال ابن الزبير بالبلاط الفاطمى ويجعله أول عهد الفائز، ولا يمكن أن يعين ابن الزبير داعيًا ويرسل إلى اليمن إلا بعد أن أصبحت له هذه المكانة المتازة لدى الوزير ورجال القصر، وإلا فقد كان قبل ذلك يقيم فى مدينته أسوان، وكان عند أول وروده إلى مصر - على حد قول ياقوت - عليه أطمار رثة وطيلسان صوف، أى أنه كان رجلاً عاديًا رقيق الحال. وياقوت ينص فى موضع آخر على أن ابن الزبير لم يرسل إلى اليمن إلا بعد أن تقرب إلى رجال القصر الفاطمى ووزرائه وتقدم عندهم، فهو يقول: «ومولده بأسوان.. وهاجر منها إلى مصر، فأقام بها، واتصل بملوكها، ومدح وزراءها. وتقدم عندهم، وأنفذ إلى اليمن فى رسالة».

ويؤكد شكنا ما ذكره ياقوت بعد هذا عن اتهام ابن الزبير وهو باليمن بأنه ادعى الخلافة، وقد ذكر أنه قبض عليه وأرسل مكبلاً إلى قوص، فأساء معاملته والى هذه المدينة لعداء قديم كان بينهما، ولكن بعض أصدقاء الوالى نصحه أن يحسن معاملة الرجل لأن أخاه المهذب حسن بن الزبير قريب من قلب الصالح (طلائع) «ولا استبعد أن يستعطفه عليه فتقع فى خجل». وعقب على هذا ياقوت بقوله إنه لم تمر بعد هذا ليلة أو ليلتان حتى وصلت إلى أمير قوص رسالة من الصالح يأمره فيها بإطلاق الرشيد بن الزبير والإحسان إليه.

من هذا يتضح أن الرشيد بن الزبير كان موجودًا فى اليمن وأعيد منه فى وزارة الصالح طلائع بن رزيك، والذى نعرفه أن الصالح لم يل الوزارة للحافظ ولا للظافر، وإنما ولى الوزارة فى عهد الفائز من ٥٤٩ هـ إلى ٥٥٥ هـ.

وقد روى ياقوت بعد هذا أن الرشيد بن الزبير كان واحدًا من جلساء الصالح طلائع، وأنه كان يشارك فى المطارحات الأدبية والعلمية التى تدور فى هذا المجلس. فإذا قرنا هذه الروايات مجتمعة بالرواية الأولى التى تحدد اتصال ابن الزبير بالبلاط الفاطمى بتولية الفائز الخلافة، استطعنا أن نرجح أن سفارة ابن الزبير إلى اليمن لم تكن فى عهد الحافظ ولا فى عهد الظافر، وإنما كانت فى عهد الفائز.

وبعد، فهذا موجز مختصر سريع للعلاقات السياسية التى كانت قائمة بين مصر واليمن فى العصر الفاطمى، وقد كانت علاقات قوية متينة، فقد كان دعاة الدعوة فى اليمن يدينون بالولاء للخلفاء الفاطميين، ويخطبون ودهم، ويرسلون إليهم الهدايا، ويحكمون باسمهم، ويؤدون إليهم الخراج، ويوسطونهم فى مشاكلهم الخاصة، كما كان الفاطميون يهتمون دائمًا بأمر اليمن فيقرون الدعاة منهم فى مراكزهم، بل لقد انتهى بهم الحال - فى أواخر عهد الدولة الفاطمية - إلى

إرسال الدعاة والقضاة المصريين - كابن نجيب الدولة والقاضى الرشيد بن الزبير الأسوانى - إلى اليمن، ليكونوا كالولاة من قبلهم، يساعدون القائمين بالدعوة والحكم هناك على حفظ ملكهم، والمحافظة على الأمن، والضرب على أيدى العصاة.

وقد انتشر مذهب الشيعة فى ولايات اليمن المختلفة كلها قبيل الفتح المصرى الأيوبى لهذا القطر، فقد خلف الهمدانيون الصليحيين فى صنعاء، وكانوا على رأى الباطنية إلا آخرهم وهو على بن حاتم (٥٥٦هـ - ٥٦٩ هـ) فالظاهر أنه كان مفارقًا لهم[1]، وبقى آل زريع يحكمون عدن حتى فتحها الأيوبيون. والزريعيون كانوا شيعة يدينون بالولاء للفاطميين، ويرسلون إليهم الخراج، كما سبق أن ذكرنا. أما زبيد فقد انتقلت من بنى نجاح إلى على بن مهدى سنة ٥٤٤ هـ، ثم إلى ابنه مهدى بن على، ثم إلى حفيده عبد النبى بن مهدى، وقد كان آل مهدى جميعا من غلاة الشيعة.

وفى سنة ٥٦٧ هـ انتهى أمر الدولة الفاطمية، وانتقل الحكم فيها إلى صلاح الدين الأيوبى، وفى سنة ٥٦٩ هـ سار الملك المعظم توران شاه - أخو صلاح الدين الأكبر - من مصر بجيش كبير، ففتح اليمن، وقضى على ما بها من دويلات شيعية وضمها إلى ملك مصر.

---

(١) العرشى «بلوغ المرام»، ص ٢٩ و ٣٠.

المراجع العربية

ابن آدم القرشى (يحيى)

= كتاب الخراج، ليدن ١٨٩٥م - ١٨٩٦م

الأبشيهى (محمد بن أحمد أبو الفتح)

= المستطرف فى كل فن مستظرف، القاهرة، ١٣٥٢ هـ.

ابن أبى الصلت (أمية)

= الرسالة المصرية، نسخة خطية بدار الكتب المصرية.

ابن الأثير

= الكامل فى التاريخ ١٢٠ جزءا، ليدن ١٨٦٦م - ١٨٧٤م

= أسد الغابة فى معرفة الصحابة، ٥ أجزاء، القاهرة ١٢٨٥هـ - ١٢٨٦ هـ.

= تاريخ دولة الأتابكة.

الإدريسى (محمد بن محمد بن عبد الله، الشريف)

= صفة المغرب وأراضى السودان ومصر والأندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، ليدن ١٨٦٤م - ١٨٦٦م.

الأزرقى

= أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، جزءان، المطبعة الماجدية بمكة المكرمة، ١٣٥٢ هـ.

الأصطخرى (إبراهيم بن محمد)

= كتاب المسالك والممالك، الجزء الأول من المكتبة الجغرافية، ليدن، ١٩٢٧م.

أمين (أحمد)

= فجر الإسلام، ج ١، القاهرة، ١٩٢٨م.

= ضحى الإسلام، ج ٣، القاهرة، ١٩٣٦م.

= ظهر الإسلام، ج ١، القاهرة ١٩٤٥م.

إلياس الأيوبى:

= تاريخ مصر الإسلامية، ج ١، القاهرة، ١٩٣٢م.

ابن إياس (أبو البركات محمد بن أحمد)

= كتاب تاريخ مصر المعروف باسم بدائع الزهور فى واقع الدهور، ٣ أجزاء، بولاق، ١٣١٢هـ - ١٨٩٤م.

= نشق الأزهار فى عجائب الأمصار، طبع قسما من الكتاب الأستاذ Langlés، باريس، ١٨٠٧م.

الباقلانى

= التمهيد فى الرد على الملاحدة والشيعة، طبع دار الفكر العربى.

بامخرمة (أبو محمد عبد الله بن أحمد الطيب)

= المختار فى تاريخ ثغر عدن، صور شمسية بدار الكتب المصرية بالقاهرة.

البكرى (أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز)

= المغرب فى ذكر بلاد إفريقية والمغرب، طبع دى سلان، الجزائر، ١٨٥٧م.

البغدادى (أبو منصور عبد القادر بن طاهر)

= الفرق بين الفرق، القاهرة، ١٣٢٨هـ - ١٩١٠م.

البلاذرى

= كتاب فتوح البلدان، ليدن، ١٨٦٦م.

البلوى (أبو محمد عبد الله بن محمد بن عمير بن محفوظ المدينى)

= سيرة أحمد بن طولون، حققها وعلق عليها محمد كرد على، دمشق، ١٣٥٨ هـ.

البندارى (الفتح بن على بن محمد)

= تاريخ دولة آل سلجوق، القاهرة ١٣١٨ هـ - ١٩٠٠م.

بندلى جوزى

= تاريخ الحركات الفكرية فى الإسلام.

البهاء الجندى (أبو عبد الله بهاء الدين بن يوسف بن يعقوب)

= أخبار القرامطة باليمن، المنقول من كتاب السلوك فى طبقات الموالى والملوك.

بهجت (على) وألبير جبريل

= حفريات الفسطاط، القاهرة، ١٩٢٨م.

ابن تغرى بردى (أبو المحاسن يوسف)

= النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة، الجزء الأول والثانى، ظهر منه ١٢ جـزءًا، طبعـة دار الكتب المصرية، ١٩٢٩م - ١٩٥٦م.

التنوخي (أبوعلى المحسن بن أبى القاسم)

= الفرج بعد الشدة، مصر، ١٣٥٧ هـ.

= جامع التواريـخ بكتـاب نشـوار المحـاضرة وأخبـار المذاكـرة، الجـزء الأول، طبـع مصـر، ١٩٢١م؛ والجزء الثامن، دمشق، ١٩٣٠م.

تيمور (أحمد باشا)

= نظرة تاريخية فى حدوث المذاهب الأربعة، القاهرة ١٣٥١ هـ.

= التصوير عند العرب، أخرجه وزاد عليه الدراسات الفنية والتعليقات الدكتور زكـى محمـد حسن، القاهرة ١٩٤٢م.

الثعالبى (أبو منصور عبد الملك النيسابورى)

= يتيمة الدهر، ٤ أجزاء، القاهرة، ١٣٥٤ هـ.

= لطائف المعارف، طبع دى يونج، ليدن، ١٨٧٦م.

جروهمان (أدولف)

= أربع محـاضرات عـن الأوراق البرديـة العربيـة، تعريـب الأسـتاذ توفيـق اسـكاروس، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٣٠م.

الجهشيارى (أبو عبد الله محمد بن عبدوس الكوفى)

= كتاب الوزراء والكتاب، حققه ووضع فهارسه الأساتذة مصطفـى السقا وإبراهيـم الإبيـارى وعبد الحفيظ شلبى، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٣٨م.

ابن الجيعان (شرف الدين يحيى)

= التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية، القاهرة، ١٣١٦ هـ - ١٨٩٨م.

حاجى خليفة

= كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون، ٧ أجزاء، ليبزج - ليدن، ١٨٣٥م - ١٨٥٨م.

ابن حجر العسقلانى (شهاب الدين بن على)

= الإصابة فى تمييز الصحابة، ٨ أجزاء، القاهرة، ١٣٢٣هـ - ١٣٢٥ هـ.

= رفع الإصر عن قضاة مصر، نسخة خطية بدار الكتب المصرية رقم ١٠٥.

ابن حزم (أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح الأندلسى الظاهرى)

= جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق أ. ليفى بروفنسال، القاهرة، ١٩٤٨م.

= الفصل، القاهرة.

حسن (الدكتور حسن إبراهيم)

= تاريخ عمرو بن العاص، القاهرة، ١٩٢٦م.

= تاريخ الإسلام السياسى، ج ١، القاهرة، ١٩٣٥م؛ الجزء الثالث، القاهرة ١٩٤٦م.

= عبيد الله المهدى إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية فى بلاد المغرب (بالاشتراك مع طه شرف)، القاهرة ١٩٤٧م.

= الفاطميون فى مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص، القاهرة، ١٩٣٢م.

= المعز لدين الله إمام الشيعة الإسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية فى مصر، القاهرة، ١٩٤٨م.

= النظم الإسلامية (بالاشتراك مع الدكتور على إبراهيم حسن)، القاهرة، ١٩٣٩م.

حسن (الدكتور زكى محمد)

= الفن الإسلامى فى مصر، الفن الإسلامى فى مصر، ج ١ القاهرة ١٩٣٥م.

= كنوز الفاطميين، القاهرة، ١٩٣٧م.

= فى مصر الإسلامية، مع عبد الرحمن زكى وآخرين القاهرة ١٩٣٣م.

= الفنون الإيرانية فى العصر الإسلامى، القاهرة، ١٩٣٩م.

= بعض التأثيرات القبطية فى الفنون الإسلامية، فى مجلة جمعية الآثار القبطية، القاهرة، ١٩٣٧م.

= مصر والحضارة الإسلامية، القاهرة، ١٩٤١م.

= الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٤٥.

= فنون الإسلام، القاهرة، ١٩٤٨م.

= دراسات فى مناهج البحث فى التاريخ الإسلامى، مجلة كلية الآداب، المجلد ١٢، ج ١، مايو ١٩٥٠.

حسن (الدكتور سليم)

= أقسام مصر الجغرافية في العهد الفرعونى، المجتمع المصرى للثقافة العلمية، الكتاب السنوى الثالث عشر، القاهرة، ١٩٤٢م.

حسن (الدكتور على إبراهيم)

= دراسات فى تاريخ المماليك البحرية، القاهرة، ١٩٤٤م.

حسين (الدكتور طه)

= مع المتنبى، جزءان، القاهرة، ١٩٣٦م.

حسين (الدكتور محمد كامل)

= فى الأدب المصرى الإسلامى من الفتح الإسلامى إلى دخول الفاطميين، القاهرة، ١٩٣٩م.

= نظرية المثل والمثول، القاهرة، ١٩٤٨م.

= فى أدب مصر الفاطمية، القاهرة، ١٩٥٠م.

الحصرى القيروانى (أبو الحسن على بن عبد الغنى الفهرى)

= زهر الآداب وثمر الألباب، طبعة الدكتور زكى مبارك، القاهرة، ١٩٢٥م.

الحمادى اليمانى (محمد بن مالك بن أبى الفضائل)

= كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، القاهرة، ١٩٣٩م.

ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادى)

= المسالك والممالك، ليدن، ١٨٧٣م.

حنا النقيوسى

«تـــاريـــخ»

= Chronique de Jean. Évêque de Nikiou. Texte Ethiopien publié et traduit par M.H. Zotenberg (Notices et extrais de Manuscrits de la Bibliothéque Nationale et autres bibliothéques. T. 24. Paris, 1883).

ابن خرداذبة

= كتاب المسالك والممالك، المجلد السادس من مجموعة المكتبة الجغرافية، ليدن، ١٨٩٩م.

الخطيب البغدادى (الحافظ أبو بكر أحمد بن على)

= تاريخ بغداد أو مدينة السلام، ١٤ جزءا، القاهرة ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١م.

ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد المغربى)

= العبر وديوان المبتدأ والخبر، ٧ أجزاء، القاهرة ١٢٨٤ هـ.

= المقدمة، القاهرة، ١٢٤٨ هـ - ١٩٣٠م.

ابن خلكان (شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم)

= وفيات الأعيان، جزءان، القاهرة، ١٢٩٩هـ.

خليل الظاهرى (غرس الدين بن شاهين)

= زبدة كشف الممالك فى بيان الطرق والمسالك. طبعة Paul Ravaisse باريس، ١٨٩٤م.

الخولى (أمين)

= مصر فى تاريخ البلاغة، مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة. المجلد الثانى، الجزء الأول، القاهرة، مايو ١٩٣٤م.

ابن الداية (أبو جعفر أحمد بن يوسف)

= سيرة أحمد بن طولون، برلين، ١٨٩٤م.

= المكافاة، القاهرة، ١٣٣٢ هـ - ١٩١٤م.

ابن دقماق (إبراهيم بن محمد المصرى)

= كتاب الانتصار لواسطة عقد الأمصار، الجزء الرابع والخامس، بولاق، ١٣٠٩هـ، نشره المتشرق فولرز

الدورى (الدكتور عبد العزيز)

= دراسات فى العصور العباسية المتأخرة، بغداد، ١٩٤٥م.

= موجز تاريخ الحضارة العربية (بالاشتراك مع ناجى معروف)، بغداد، ١٩٥٢م.

الديبع الشيبانى (الفقيه وجيه الدين عبد الرحمن بن على بن محمد الشيبانى الشافعى، المشهور بالديبع الزبيدى)

= قرة العيون فى تاريخ اليمن الميمون، صور شمسية بدار الكتب المصرية بالقاهرة.

الدينورى

= الأخبار الطوال، القاهرة، ١٣٣٠م.

رسائل إخوان الصفا، القاهرة.
الرسائل المستنصرية، نشر الدكتور عبد المنعم ماجد، القاهرة.
ابن رستة
= الأعلاف النفسية، الجزء السابع من مجموعة المكتبة الجغرافية، ليدن، ١٨٩١ - ١٨٩٢م.
ابن زولاق (أبو محمد الحسن بن إبراهيم)
= فضائل مصر، نسخة خطية بمكتبة الأزهر.
= أخبار سيبويه المصرى، نشره الأستاذين محمد إبراهيم سعد وحسن الديب، الطبعة الأولى، ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٣م.
ابن الزيات (شمس الدين أبو عبد الله)
= الكواكب السيارة، المطبعة الأميرية بمصر، ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧م.
زيدان (جورجى)
= تاريخ آداب اللغة العربية، ٤ أجزاء، الطبعة الثانية ١٩٢٤م.
السبكى (تاج الدين أبو النصر عبد الوهاب)
= طبقات الشافعية الكبرى، ٦ أجزاء، المطبعة الحسينية، ١٣٢٤ هـ.
سبط ابن الجوزى (شمس الدين أبو المظفر يوسف بن غزا أو غلى، المعروف بسبط ابن الجوزى)
= مرآة الزمان فى تاريخ الأعيان، صور شمسية بدار الكتب المصرية بالقاهرة رقم ٥٥١ تاريخ.
سركيس (يوسف إليان)
= معجم المطبوعات العربية والمعربة، القاهرة، ١٩٢٨م - ١٩٣٠م.
سرور (الدكتور محمد جمال الدين)
= النفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب، ١٩٥٧م.
= النفوذ الفاطمى فى بلاد الشام والعراق، ١٩٥٧م.
= الظاهر بيبرس وحضارة مصر فى عصره، القاهرة، ١٩٣٨م.
ابن سعد (كاتب الواقدى)
= الطبقات الكبير، ٨ أجزاء ليدن ١٩١٥م ٠ ١٩٢١م.

ابن سعيد (على بن موسى المغربى)

= المغرب فى حلى المغرب، ليدن، ١٨٩٩م.

سعيد بن بطريق (المعروف باسم أوتيخا)

= كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، جزءان، بيروت، ١٩٠٥م و ١٩٠٩م.

السيد (أحمد لطفى)

= قبائل العرب فى مصر، ج ١، القاهرة، ١٩٣٥م.

ابن سيده

= المخصص.

سيرة الأستاذ جوذر.

نشر الدكتورين محمد كامل حسين ومحمد عبد الهادى شعيرة.

السيوطى (جلال الدين)

= تاريخ الخلفاء، القاهرة، ١٣٥١ هـ.

= حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة: جزءان، القاهرة، ١٣٢٧ هـ.

= بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٣٢٦ هـ.

ابن شاكر الكتبى

= فوات الوفيات، جزءان، القاهرة، ١٢٦٩ هـ.

أبو شامة المقدسى

= الروضتين فى أخبار الدولتين، القاهرة، ١٢٨٧ هـ.

ابن الشحنة (أبو الفضل محمد)

= الدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب، بيروت، ١٩٠٩م.

شرف (الدكتور طه)

= دولة النزارية أجداد أغا خان، القاهرة، ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠م.

الشهرستانى

= الملل والنحل، القاهرة.

شيخو (الأب لويس، اليسوعى)

= هلال الصابى وتآليفه، مجلة الشرق، السنة السادسة، بيروت سنة ١٩٠٣م.

الشيزرى (عبد الرحمن بن نصر).

= كتاب نهاية الرتبة فى طلب الحسبة، قام على نشره الدكتور السيد الباز العرينى، القاهرة، ١٩٤٦م.

أبو صالح الأرمنى (أبو المكارم جرجس بن مسعود)

= «تاريخ» المعروف بكنائس وأديرة مصر، طبعة Evetts، أكسفورد ١٨٩٥م.

الصفدى (صلاح الدين خليل بن أيبك)

= الغيث المنسجم، القاهرة.

= الوافى بالوفيات، الجزء الأول، الآستانة ١٩٣١م.

الصولى الشطرنجى (أبو بكر محمد بن يحيى)

= أخبار الراضى بالله والمتقى بالله من كتاب الأوراق، نشره هيورث دن Heyworth Dunne، القاهرة ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥م.

ابن الصيرفى (أمين الدين أبو القاسم على بن منجب)

= الإشارة إلى من نال الوزارة، طبع مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية، ١٩٢٤م.

ابن طباطبا (محمد بن على، المعروف بابن الطقطقى)

= الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الإسلامية، الطبعة الثانية، مطبعة المعارف بمصر؛ والمطبعة الرحمانية بمصر ١٩٢٥ هـ - ١٩٢٧م.

الطبرى

= تاريخ الأمم والملوك، ١١ جزءا، الطبعة الأولى بالمطبعة الحسينية المصرية بمصر.

= تفسيره

طوسون (عمر)

= مالية مصر من عهد الفراعنة إلى الآن، الإسكندرية، ١٩٣١م.

الطوسى

= فهرست كتب الشيعة، كلكتا، ١٨٥٥م.

ابن ظافر الأزدى المصرى (جمال الدين على)

= الدول المنقطعة ، صورة فتوغرافية بدار الكتب، رقم ٨٩٠.

ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبد الله)

= فتوح مصر وأخبارها، طبعة تورى Torrey، نيوهافن ١٩٢٢م؛ وطبعة هنرى ماسيه Henri Massé، المعهد العلمى الفرنسى، القاهرة ١٩١٤م.

عبد القادر الأنصارى (الشيخ زين الدين عبد القادر بن البدرى محمد بن إبراهيم)

= درر الفرائد المنظمة فى أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، مخطوط بدار الكتب المصرية بالقاهرة.

عبد اللطيف البغدادى (الشيخ موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف المعروف بابن اللباد)

= «عبد اللطيف البغدادى فى مصر»، وهو الكتاب المعروف باسم «الإفادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر»، طبعة المجلة الجديدة (سلامة موسى).

ابن العبرى (أبو الفرج بن هرون الملطى)

= تاريخ مختصر الدول، مطبعة الآباء اليسوعيين ببيروت، ١٨٩٠م

ابن العديم الحلبى (كمال الدين أبو حفص، أو أبو القاسم، عمر بن أحمد بن هبة الله)

= زبدة الحلب فى تاريخ حلب، نشر سامى الدهان، دمشق ١٩٥١م.

العرشى (القاضى حسين بن أحمد الزيدى)

= بلوغ المرام فى شرح مسك الختام فى من تولى ملك اليمن من ملك وإمام، نشره الأب أنستاس مارى الكرملى.

عريب بن سعد القرطبى

= صلة تاريخ الطبرى، الجزء الثانى عشر من كتاب تاريخ الأمم والملوك (للطبرى)، الطبعة الأولى بمطبعة الحسينية بمصر.

ابن عساكر (أبو القاسم على بن أبى محمد الحسن بن هبة الله بن عساكر الشافعى الدمشقى الملقب ثقة الدين)

= التاريخ الكبير، ٥ أجزاء، دمشق، ١٣٢٩هـ - ١٣٣٢ هـ.

عمارة اليمنى (أبو محمد بن أبى الحسن على بن زيدان بن أحمد الحكمى، الملقب بنجم الدين)

= تاريخ اليمن، نشر Henri Cassels kay

= النكت العصرية فى أخبار الوزارة المصرية، نشر Hartwig Derenbourg العمرى (شهاب الدين أحمد بن فضل الله)

= مسالك الأبصار، نسخة خطية بدار الكتب المصرية.

= التعريف بالمصطلح الشريف، القاهرة، ١٣١٢ هـ.

ابن العميد (المعروف بالمكين)

= تاريخ المسلمين، ليدن، ١٩٢٥م.

عيسى (أحمد)

= تاريخ البيمار ستانات فى الإسلام، القاهرة، ١٩٣٩م.

العينى (بدر الدين محمود)

= عقد الجمان، نسخة خطية بدار الكتب المصرية رقم ١٥٨٤.

الغزالى

= الرد على الباطنية، ليدن، ١٩٢٦م.

الغزولى (علاء الدين على بن عبد الله البهائى الغزولى الدمشقى)

= مطالع البدور فى منازل السرور، جزءان، الطبعة الأولى، مصر، ١٢٩٩هـ - ١٣٠٠ هـ.

أبو الفدا (الملك المؤيد إسماعيل صاحب حماة)

= المختصر فى أخبار البشر، ٤ أجزاء، الطبعة الأولى بالمطبعة الحسينية ١٣٢٥ هـ.

ابن فرحون:

= كتاب الديباج المذهب فى معرفة أعيان علماء المذهب، القاهرة، ١٣٢٩ هـ.

ابن الفقيه (أبو بكر أحمد بن أحمد بن محمد الهمذانى)

= مختصر كتاب البلدان، الجزء الخامس من المكتبة الجغرافية، ليدن، ١٨٨٥م.

ابن قتيبة

= كتاب الإمامة والسياسة، جزءان، القاهرة، ١٣٢٥ هـ.

قدامة بن جعفر

= نبذ من تاريخ الخراج وصنعة الكتابة، الجزء السادس من المكتبة الجغرافية، ليدن، ١٨٨٩م.

القضاعى

= عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف، نسخة خطية بدار الكتب المصرية، رقم ١٧٧٩.

القفطى

= إخبار العلماء بأخبار الحكماء، طبع القاهرة، ١٣٢٦ هـ.

ابن قلاقس

= ديوانه، تحقيق خليل مطران، طبع بجريدة الأهرام.

ابن القلانسى (أبو يعلى حمزة)

= ذيل تاريخ دمشق، نشر آمدروز، ليدن، ١٩٠٨م.

القلقشندى (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن على)

= صبح الأعشى فى صناعة الإنشاء، ١٤ جزءا، المطبعة الأميرية بالقاهرة، ١٩١٣م - ١٩١٩م.

كاشف (الدكتورة سيدة إسماعيل)

= مصر فى فجر الإسلام، القاهرة، ١٩٤٧م.

= مصر فى عصر الولاة، القاهرة، (بدون تاريخ).

= مصر فى عصر الإخشيديين، القاهرة، ١٩٥٠م.

ابن كثير (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشى الدمشقى)

= البداية والنهاية، ١٤ جزءا، مطبعة السعادة بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٣٢م.

كرد على (محمد)

= خطط الشام، ٦ أجزاء، دمشق، ١٩٢٥ - ١٩٢٨م.

الكرمانى (أحمد حميد الدين)

= راحة العقل، تحقيق محمد كامل حسين ومحمد مصطفى حلمى، من مطبوعات الجمعية الإسماعيلية.

الكرملى (الأب أنستاس)

= النقود العربية وعلم النميات، القاهرة، ١٩٣٩م.

كشاجم (أبو الفتح محمود بن الحسين بن شاهق - أو شاهك -

= ديوان كشاجم، بيروت، ١٣١٣ هـ.

الكشى

= معرفة أخبار الرجال، طبع بمباى، ١٣١٧ هـ.

الكندى (أبو محمد بن يوسف)

= كتاب الولاة وكتاب القضاة، بيروت، ١٩٠٨م، Gibb Memorial Series

= فضائل مصر، نسخة خطية بدار الكتب المصرية، رقم ٧٥٣.

الماوردى (أبو الحسن على بن محمد بن حبيب)

= الأحكام السلطانية. القاهرة، ١٢٩٨ هـ.

= أدب الوزير المعروف بقوانين الوزارة وسياسة الملك. القاهرة ١٣٤٨ هـ - ١٩٢٩م.

مبارك (الدكتور زكى)

= النثر الفنى فى القرن الرابع، جزءان، القاهرة، ١٩٣٤م.

مبارك (على باشا)

= الخطط التوفيقية الجديدة لمصر والقاهرة، ٢٠ جزءا، بولاق، ١٣٠٦ هـ.

المجالس المستنصرية، تحقيق محمد كامل حسين، من سلسلة مخطوطات الفاطميين.

ابن المجاور (جمال الدين أبو الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد، المعروف بابن المجاور الشيبانى الدمشقى)

= تاريخ ابن المجاور، صور شمسية بدار الكتب المصرية بالقاهرة رقم ٥٣٤٢.

المراكشى (أبو محمد عبد الواحد بن على، محيى الدين)

مرسى (الدكتور محمد كامل)

= الملكية العقارية فى مصر وتطورها التاريخى من عهد الفراعنة حتى الآن، القاهرة ١٩٣٦م.

المسعودى (أبو الحسن على بن الحسين بن على)

= مروج الذهب ومعادن الجوهر فى التاريخ، جزءان، طبعة القاهرة، ١٣٤٦ هـ؛ ٨ أجزاء، طبعة Barbier de Meynard، باريس ١٨٦١م - ١٨٧٤م؛ و ٩ أجزاء، باريس ١٨٦١م - ١٨٧٧م.

= التنبيه والإشراف، الجزء الثامن من المكتبة الجغرافية، ليدن، ١٨٩٣ - ١٨٩٤م، القاهرة ١٩٣٨م.

مسكويه (أبو على أحمد بن محمد بن يعقوب)

= كتاب تجارب الأمم وتعاقب الهمم، الجزء الأول، ليدن، ١٩٠٩م؛ والجزء الخامس والسادس مطبعة شركة التمدن بمصر، ١٣٣٢هـ و ١٣٣٣ هـ - ١٩١٤م و ١٩١٥م.

المقدسى (شمس الدين أبو عبد الله)

= أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، ليدن، ١٨٧٧م.

المقريزى (تقى الدين)

= المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار، جزءان، بولاق، ١٢٧٠ هـ.

= البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، القاهرة ١٣٥٦ هـ.

= شذور العقود فى ذكر النقود القديمة الإسلامية، المعروف باسم النقود الإسلامية، القسطنطينية، ١٢٩٨ هـ.

= إغاثة الأمة يكشف الغمة، طبعة الدكتورين محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٤٠م.

= السلوك لمعرفة دول الملوك، نشر الدكتور زيادة.

= اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، نشر الدكتور جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٤٨م.

= المقفى الكبير، نسخة خطية بالمكتبة الأهلية بباريس، رقم ٢١٤٤.

الملطى (أبو الحسن)

= التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، استامبول، ١٩٣٦م.

المقفع (ساويرس أسقف الأشمونين)

= سيرة الآباء البطاركة، الجزء الأول والخامس والعاشر من مجموعة Patrolelogia Orientalis، باريس ١٩٠٧م و ١٩١٠م و ١٩١٥م. والمجلد الثانى، مطبوعات جمعية الآثار القبطية، القاهرة، ١٩٤٨م.

ابن مماتى (أبو المكارم أسعد بن مهذب بن مينا)

= كتاب قوانين الدواوين، نشره وعلق عليه الدكتور عزيز سوريال عطية، القاهرة، ١٩٤٣م.

ابن منجب الصيرفى

= الإشارة إلى من نال الوزارة، القاهرة، ١٩٢٤م.

= قانون ديوان الرسائل، نشر على بهجت، القاهرة.

المؤيد فى الدين داعى الدعاة (هبة الله الشيرازى).

= المجالس المؤيدية. (ثمانمائة مجلس)، نسخة خطية بمكتبة الدكتور محمد كامل حسين.

= ديوانه، تحقيق محمد كامل حسين، من سلسلة مخطوطات الفاطميين.

= سيرة المؤيد فى الدين داعى الدعاة، تحقيق محمد كامل حسين، من سلسلة مخطوطات الفاطميين، القاهرة، ١٩٤٩م.

ميتز (آدم)

= الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى، ترجمة الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريدة.

ابن ميسر (محمد بن على بن يوسف بن جلب)

= تاريخ مصر، طبعة هنرى ماسيه Henri Massè، القاهرة، ١٩١٩م.

ناصرى خسرو

= سفر نامة، ترجمة الدكتور يحيى الخشاب، القاهرة.

ابن النديم (محمد بن إسحاق)

= الفهرست، ليبزج، ١٨٧١م.

النوبختى

= فرق الشيعة، استامبول، ١٩٣١م.

النويرى (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب)

= نهاية الأرب فى فنون الأدب، المطبوع منه ١٥ جزءا، الطبعة الأولى بدار الكتب المصرية.

ابن هانئ الأندلسى

= ديوانه، تحقيق زاهد على، طبع القاهرة.

هلال الصابى (أبو الحسن - أو أبو الحسين - هلال بن المحسن بن أبى اسحق إبراهيم).

= تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء، نشره Amedroz، بيروت - ليدن، ١٩٠٤م.

الهمة فى آداب اتباع الأئمة، تحقيق محمد كامل حسين، من سلسلة مخطوطات الفاطميين، طبع دار الفكر العربى.

يحيى بن آدم القرشى

= كتاب الخراج، ليدن، ١٨٩٥م - ١٨٩٦م.

يحيى بن الحسين

= أنباء الزمن فى أخبار اليمن، برلين، ١٩٣٦م.

يحيى بن سعيد الأنطاكى

= «تاريخ» أو صلة كتاب سعيد بن بطريق المسمى «التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق»، جزءان، بيروت، ١٩٠٩م.

اليعقوبى

= كتاب البلدان، الجزء السابع من مجموعة المكتبة الجغرافية، ليدن، ١٧٩٢م.

= «تاريخ»، جزءان، طبعة هوتسما Houtsma، ليدن، ١٨٨٣م.

اليمانى (محمد بن محمد)

= سيرة الحاجب جعفر بن على وخروج المهدى من سلمية ووصوله إلى سجلماسة، نشر إيفانوف. مجلة كلية الآداب بجامعة القاهرة، ديسمبر، ١٩٣٦م.

أبو يوسف (يعقوب، صاحب أبى حنيفة)

= كتاب الخراج، بولاق، ١٣٠٢ هـ.

المراجع غير العربية

Al-Hamdani (Husain)

= Letters of Al-Mustansir Billah. Bulletin of the School of Oriental Studies, vol. VIII, Part 2, 1934.

Amedroz (H.F.)

= The Office of Kadi. Journal of the Royal Asiatic Society, 1910, p. 779 & seq.

Amélineau (E.)

= Etude sur le Christianisme en Egypte au Septime siècle. Paris, 1887.

Arnold (Th.)

= The Preaching of Islam. London, 1935.

= The Caliphate, Oxford, 1924.

= The Islamic Book, by Th. Arnold and A. Grohmann, London, 1929.

Asaf A. A. Fyzee

= A Chronogical List of the Imams and Da'is. (J. B. B. R. A. S. 1934).

= Isma'ilia Law and Its Founder.

= Matèrials For an Ismaili, bibliography. (J. B. B. R. A. S. Vol. II, 1935).

= Qadi un-Nu'mans. (J. R. A. S. 1934).

Bahgat (Ali)

= Les Manufactures d'Etoffe en Egypte au Moyen-Ages, Bulletin de l'Institut Egyptien, Quatriéme Série – 6 Avril 1903 – Le Caire, 1903.

Baynes (Norman H.) and Moss

= Byzantium. Oxford, 1949.

Becker (C. H.)

= The Expansion of Saracens. The Cambridge Medieval History, Vol. II, Cambridge, 1913.

= Art. Egypt. The Encyclopedia of Islam, vol. II. Leyden - London, 1927.

= Art. Cairo. The Encyclopedia of Islam. Vol. I. Leyden -- London 1913.

= Historische Studien über das Londoner Aphroditowerk. Der Islam Band II, 1911.

= Islamstudien, Vom Werden und Wesen der islamischen Welt. I Band. Leipzig. 1924.

= Beiträge Zur Geschichte Ägyptens unter dem Islam. Strassburg, 1902 – 1903.

= Neue Arabische Papyri des Aphroditofundes, Der Islam II. Strassburg, 1911.

Bell (H. I.)

= Translations of the Greek Aphrodito papyri in the British Museum. Der Islam. Band II, III, IV, XVII. 1911, 1912, 1913, 1928.

Berg (Van den)

= Principes du Droit Musulman, Alger, 1896.

Bowen (H.)

= The Life and Times of Ali ibn Isa, (the Good Vizier). Cambridge. 1928.

Brockelmann (Carl)

= Geschichte der Arabischer Litteratur, 2 vols. Wèimar, Berlin, 1898-1902, 2 Suplementband. Leiden, 1937-1938.

= History of the Islamic Peoples. London, 1949.

نقله إلى العربية بعنوان «تاريخ الشعوب الإسلامية» الدكتور نبيه أمين فارس والأستاذ منير بعلبكى، بيروت، دار العلم الملايين ١٩٤٨م - ١٩٤٩م

Browne (E. G.)

= A Volume of Oriental Studies presented to Edward Browne on his 60 th Birthday. Ed. by T. W. Arnold and R.A. Nicholson. Cambridge, 1922.

Butcher (Mrs. E. L.)

= The Story of the Church of Egypt. 2 vols. London, 1897.

تعريب اسكندر تادرس بعنوان «تاريخ الأمة القبطية وكنيستها»، فى ثلاثة أجزاء، القاهرة ١٩٠٠ و ١٩٠١و ١٩٠٦م.

Butler (Alfred J.)

= The Arab Conquest of Egypt. Oxford, 1902.

تعريب الأستاذ محمد فريد أبو حديد بعنوان «فتح العرب لمصر»، القاهرة، ١٩٣٣م.

= The Ancient Coptic Churches of Egypt. 2 vols. Oxford, 1884.

= The Treaty of Misr in Tabari. Oxford, 1913.

= Islamic Pottery. London, 1929.

Caetani (Leone)

= Annali dell' Islam. Vols. IV, V, Milano. 1911-1912.

Canard (Marius)

= Sayf al Daula. Alger, 1934.

Carra de Vaux

= Les Penseurs de l'Islam. Paris, 1921-1926.

Codrington (O.)

= A Manual of Musulman Numismatics. London, 1904.

Combe (Et.), J Sauvaget, and G. Wiet.

= Répertoire Chronologique d'épigraphie Arabe. t. I, II. Le Caire, 1931; Tome Cinquième, Le Caire, 1934.

Creswell (K. A. C.)

= Coptic Influences on Early Moslim Architecture. Extrait, Bulletin de La Société d'Archéologie Copte. Tome V, 1939. Le Caire.

= Early Muslim Architecture (Ummayyads, Abbassids and Tulunids). 2 vols. Oxford, 1932 – 1940.

Crum (W. E.)

= Coptic Ostraca. London. 1902.

De Castries (Henri)

= L'Islam, Impression et Etudes. Paris, 1896.

تعريب أحمد فتحى زغلول بعنوان «الإسلام، خواطر وسوانح»، مطبعة السعادة بالقاهرة.

Defrémery

= Mémoire sur les Emirs – el – Oumara (dans Mémoires présentés par divers savants à l'Académie des Inscriptions et Balles – Lettres 1re série. I. II. Paris, 1852.

De Goeje

= Memoire sur les Caramathes du Bahrain et les Fatimides. Leyden, 1886.

De Sacy (Silvester)

= Recherches sur la nature et les Révolutions du droit de propriété territorial en Egypte. Bibiliothèque des Arabisants Français, t. II, Institut Français d'Archéologie Orientale, le Caire, 1923.

= Träité des monnaie Musulmanes. Le Caire, 1905.

= Bihliothèque des Arabisants Français. Tome Premier Le Caire, 1905.

Devanshire (Mme R. L.)

= L'Egypte Musulmane et les Fondateurs de ses Monuments. Paris, 1926.

Dozy

= Histoire des Musulmans d'Espagne. 3 tomes. Leyde, 1932.

= Supplément aux Dictonnaires Arabes, 2 vols, Leyden, 1881.

= Dictionnaire détaillé des nomes des vêtements Chez les Arabes. Amesterdam, 1845.

Drioton (Etienne) et Vandier (Jacques)

= L'Egypte (dans Les Peuples de l'Orient Méditerranéen, t. II). Paris, 1938.

Encyclopedia of Religion and Ethics.

Encyclopedia of Islam.

Fahmy (Ali Mohamed)

= Muslim Sea-Power in the East Mediterranean from the Seventh to the Tenth Century A. D. Alexandria, 1950.

Faris (N. A.)

= The Arab Heritage. Princeton, 1944.

Franz (J.)

= Kairo, 1903.

Flury (S.)

= Ein Stuckmihrab des IV. (X) Jahrhumderts. (Jahrbuch der Asiatischen Kunts, II, 1925).

Gaudefroy – Demombynes (M.)

= Le Monde Musulman. Histoire du Monde, VII, l Paris, 1931.

Gottschalk, (Hans)

= Die Madaraijjun. Berlin and Leipzig, 1931.

Grohmann (Adolf)

= Arabic Papyri in the Egyptian Library, vols. l, II, III. Cairo, 1934, 1936, 1938.

الجزء الأول نقلته الدكتورة سيدة إسماعيل كاشف إلى العربية بالاشتراك مع الدكتور حسن إبراهيم حسن بعنوان «أوراق البردى العربية بدار الكتب المصرية»، القاهرة ١٩٣٤م.

= Art Tiraz (in Encyclopedia of Islam).

Grunebaum (G. E. von)

= Medieval Islam. Chicago, Illinois, 1947.

Guyard (M. S.)

= Fragments relatifs à la doctrine des Ismailis, Paris.

Hamadany (H. F.)

= The History of the Isma´ili da´wat and its literature during the last Phase of the Fatimid (J. R. A. S., 1932).

Hassan (Hassan Ibrahim)

= Relations between Egypt and the Caliphate. Cairo, 1940.

Hassan (Zaki Mohamed)

= Les Tulunides. Paris, 1933.

= Hunting as practised in Arab Countries of the Middle Ages. Cairo, 1937.

= Moslim Egypt and its Contribution to Islamic Civilisation (Bulletin of the Faculty of Arts, University of Cairo, vol. XI, Part II, Des. 1949, Cairo).

= Moslem Arts in the Fouad I University Meueum. Vol. l Cairo, 1950.

Haurt (A.)

= Histoire des Arabes. 2 vols. Paris, 1912.

Heffening (W.)

= Art. Shähid (Encyclopedia of Islam).

Herz (Max)

= Catalogue Raisonné des monuments exposés dans la Musée National de l'Art Arabe. Le Caire, 1906.

ترجمه على بهجت بعنوان: فهرس مقتنيات دار الآثار العربية المطبعة الأميرية بمصر، ١٣٢٧هـ.

Heyd

= Histoire du Commerce du Levant au Moyen Age. 2 vols Leipzig, 1885-1886.

Hitti (Philip)

= History of the Arabs London, 1946.

= History of Syria.

Ibn Said-Vollers

= Fragments aus dem Mughrib Weimar 1895.

ظهرت له ترجمتان باللغة العربية.

Ivanow (W.)

= The Rise of Fatimids (Bombay, 1942).

= A Guide to Ismaili Literature. London, 1933.

= The Organisation of the Fatimid Propaganda. J. B. B. R. A. 3. 1939.

= Ismailis and Qaramtians. J. B. B. R. A. S. 1940.

Johnson Allan Chester

= An Economic Survey of Ancient Rome. Vol. S II. Roman Egypt. Baltimore, 1936.

Jouguet (Pierre)

= L'Egypte Gréco Romaine. Précis de l'histoire d'Egypte. t. 1

Kammerer (Albert)

= La Mer Rouge. Tome Premier, Le Caire, 1929.

Kay (Henri Cassels)

= Yaman, Its Easly Medieval History.

Kremer (A. V.)

= Kulturgeschichte des Orients unter den Chalifen. 2 Bände (Wien 1875-77).

Kühnel (E.)

= Islamische Schriftkunst. Berlin.

Lamm (Carl John)

Cotton in Medieval Textiles of the Near East. Paris, 1937.

Lammens (père Henri)

= Un gouverneur Omaiyade d'Egypte Qorra ibn Sarik d'après les papyrus Arabes. Bulletin de l'Institut Egyptien. 5e. Serie. Tome 11. Le Caire Décembre. 1908.

= La Syrie. Précis Historique, Tome 1.

Lane – Poole (Stanley)

= A History of Egypt in the Middle Ages. London, 1900.

= The Muhammadan Dynasties, 1925.

= Catalogue of Oriental Coins in the British Museum. London, 1875 - 1890.

Lavoix (Henri)

= Catalogue des Monnaies Musulmanes. Paris, 1896.

Lévy – Provençal (E.)

= Le Traité d'Ibn Abdun. (Journal Asiatique. Avril – Juin 1934).

Levy (R)

= An Introduction to the Sociology of Islam, 2 vols. London 1931- 1933.

Lewis (Bernard)

= The Arabs in History. London 1950.

نقله إلى العربية بعنوان «العرب فى التاريخ» الأستاذان نبيه أمين فارس ومحمود يوسف زايد. بيروت ١٩٤٥م.

= The origins of Isma'ilim, 1940.

Macdonald (D. B.)

= Muslim Theory, Jurisprudence and Contitutional Theory. London, 1903.

Macmichael.

= A History of the Arabs in the Sudan, 2 vols. Cambridge, 1922.

Marcel

= Egypte, dépuis la conquête des Arabes jusqu'à la domination Français. Paris, 1848.

Massignon (L.)

= Annuaire du Monde. Musulman. Paris, 1925.

= Salmam Pak (S. E. I), Paris, 1934.

= Esquisse d'une bibliographie Qarmate, 1922.

= Article Karmates (Encyclopedia of Islam).

Mayer (L. A.)

= Bibliography of Moslem Numismatics, India Excepted. London, 1939.

Mercier (Louis)

= La Chasse et les Sports chez les Arabes. Paris, 1927.

Mez (Adam)

= Die Renaissance des Islames. Heidelberg, 1922.

نقله إلى العربية فى جزئين الأستاذ محمد عبد الهادى أبو ريدة بعنوان «الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى»، القاهرة ١٩٤٠ م.

Milne (J. Grafton)

= A History of Egypt Under Roman Rule. London, 1924.

Minorsky (V.)

= Tadkkirat al- Mulûk. A Manual of Safavid Administration. London, 1943.

Mohammed Ben Cheneb

= Classes Des Savants de l'Ifriqiya. Alger, 1920.

Mubarak (Zaky)

= La Prose Arabe au IVe Siécle. Paris, 1931.

Muir (William)

= The Caliphate: Its Rise, Decline and Fall. Edinburgh, 1915.

Munier (Henri)

= L' Egypt Byzantine, Précis de l'hist. D'Egypte, t. II. 1932.

Nicholson (R. L.)

= Studies in Islamic Mysticism. Cambridge 1921.

نقل الأستاذ الدكتور أبو العلا عفيفى إلى العربية طائفة من الدراسات التى قام بها نيكولسون ونشرت فى القاهرة سنة ١٩٤٧م بعنوان: «فى التصوف الإسلامى وتاريخه».

Nutzel (H.)

– Königlische Mnseen Zu Berlin: Katalog der Orientalischen Münzen. Berlin 1898.

O'Leary (De Lacy)

= A Short History of the Fatimid Khalifate, 1923. Papyrus Erzherzog Rainer. Führer durch die Ausstellung. Wien 1894.

Pauty (Edmond)

= Bois sculptés d'Eglises Coptes. Le Caire, 1930.

= Les Bois sculptés jusqu'a l'époque Ayyoubide. Catalogue du Musée Arabe. Le Caire, 1931.

Pedersen (j.)

= Art. Masdjid. The Encyclopedia of Islam. Vol. III. Leiden. London, 1936.

Quatremère (Et.)

= Mémoires Géographiques et Historiques 2 tomes. Paris, 1811.

= Recherches Citiques et Historiques sur La Langue et la Littérature de l'Egypte. Paris. 1808.

= Mémoires Historiques sur la Dynastie des Khalifs Fatimid. J. A. 1836.

Rabino di Borgomale (H. L.)

= Coins and Seals of Shahs of Iran. Hertford 1945.

Répertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe. T.V. Le Caire, 1934. Voir Combe.

Ross (E. Denison)

= The Art of Egypt through the Ages. London, 1931.

Sauvaire (M. H.)

= Matériaux pour servir à l'histoire de la Numismatique et de la Metrolgie Musulmanes. Extrait du Journal Asiatique, 7 eme Série, t. XIV, XV, XVIII, XIX. Paris, 1879.

Snouk Hurgronje (C.)

= Mekka 2 Bd. Haag, 1888- 1889.

Sobhy (Georgy)

= The Survival of Ancient. Egypt. Extrait du Bulletin de la Société d'Archéologie Copte. T, IV. Le Caire, 1938.

Strzygowski (J.)

= Asiens bildende Kunst. Wien, 1930.

Tornberg (C. J.)

= Mémoires sur les Monnaies des Ikhschidites (dans Nova Acta Regiae Societatis scientiarum Upsaliensis, 3 ème Série, vol. II).

Tousson (Omar)

= La Géographie de l'Egypte à l'Epoque Arabe. Tome Premier, Le Caire, 1926.

= Mémoire sur L'histoire du Nil(Mémoires de l'Institut d'Egypte, tomes VIII, IX, X). Le Caire, 1925.

Trimingham (J. Spencer).

= Islam in the Sudan. Oxford. 1949.

Trititon (A. S.)

= The Caliphs and their non – Muslim Subjects. Oxford, 1930.

ترجمة وعلق عليه الدكتور حسن حبشى بعنوان «أهل الذمة فى الإسلام»، القاهرة ١٩٤٩ م

Tyan (E.)

= Histoire de l'organisation judiciaire en pays de e'Islam. Paris, 1938.

Van Berchem (Max)

= Le Proprieté territoriale et l'impôt foncier sous les Premiers Califes. Genéve, 1886.

= Une Page Nouvelle de l'histoire d'Egypte. Journal Asiatique. Dixième série, Tome IX. Paris, Janvier. Février, 1907.

= Materiaux pour un Corpus inscriptionum Arabicarum:

a) L'Egypte. Mèmoies publées par les membres de l'Institut Français du Caire, 1894.

b) Jérusalem Ville, Mémoires… 1920 – 1922.

Vonderheyden (M.)

= La Berbérie Orientale sous la dynastie de Benoû L-Arlabe. Paris, 1927.

Weill (J. D.)

= Les Bois à Epigraphes jusqu'a l'Epoque Mamlouke. Catalogue du Musée Arabe. Le Caire, 1931.

Wiet (Gaston)

= l'Egypte Musulmane. Précis de l'histoire d'Egypte, t. II.

= L'Egypte Arabe. Histoire de la Nation Egyptienne. t. IV.

= Les Communications en Egypte au Moyen Age.

نقلها إلى العربية محمد وهبى بعنوان «المواصلات فى مصر فى العصور الوسطى» ونشرت فى كتاب «فى مصر الإسلامية» أخرجه الدكتورين: زكى محمد حسن وعبد الرحمن زكى.

= The Governors and Judges of Egypt (Journal of the Royal Asiatic Society). July 1914.

= L'Historien Abul-Mahassin. Bulletin de l'Institut d'Egypte. T. XII. 1929 – 1930.

= Matériaux pour un Corpus Inscriptionum Arabicarum, T. II Egypte. Le Caire 1930.

= Catalogue génerale du Musée Arabe du Caire. Stéles Funeraires, T. V. Le Caire 1937.

= Les Mosquées du Caire. 2 vols Paris 1932.

= Notes d'Epigraphie Syro – Musulmane (dans Syrie) T. VII.

= Trois Formules d'independence dans l'Egypte Médiévale. Le Caire, 1942.

Wustenfeld (F.)

= Die Statthallter von Agypten Zur Zeit der Chalifen. Gottingen, 1875.

Zambaur (E. De)

= Manuel de Généalogie et de Chronologie pour L' Histoire de L'Islam. Hannover 1927.

Zettersteen (K. V.)

= Article Shurta (Encyclopedia of Islam).